

أحوال النفس

رسالة في النفس وبقائها ومعادها

obbeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أهل كل حمدٍ لن يكون إلا له ، ورجية لن تكون إلا إليه ، وتوكلٍ لن يكون إلا عليه ، وثقة لن تكون إلا به ؛ وصلواته على خير خيرته من خلقه محمد وآله .
وبعد ؛ فهذه رسالة عمّلتها باسم بعض أخلص من الإخوان ، مشتملة على مبحث ما تؤدي إليه البراهين من حال النفس الإنسانية ، ولباب ما أوقف عليه البحث الشافي من أسرارها ، وإن انتقض المزاج ، وفسد البدن ؛ والاطلاع على النشأة الثانية والحالة المتأدية إليها في العاقبة ، بأوجز قول ، وأشد اختصار . وما توفيق إلا بالله .

ويلزمني قبل الاندفاع في الغرض المتقدم أن أصادر قبله بجمل من علم القوى النفسانية وأفعالها ، يكون تحققها معيناً على تحقق ما ينساق إليه الكلام من الغاية القصوى .
فلذلك تنقسم هذه الرسالة إلى فصول :

- (١) هذا كتاب مشتمل على أحوال النفس للشيخ الرئيس قدس سره ؛ هذه الرسالة في علم النفس للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا رحمه الله هاشم ؛ بقلم مختلف ؛ رسالة في النفس وبقائها ومعادها ؛ رسالة الكبير في حق النفس لرئيس العقلاء لابن سينا صاحب الشفاء روح الله روحه العزيز .
- (٢) لن يكون إلا له : أن يكون له ؛ يكون له ه || لن تكون إلا إليه : أن تكون إليه س ، ه .
- (٣، ٢) لن يكون إلا عليه : أن يكون عليه س ، ه
- || الحمد به : الحمد لله رب العالمين س (٣) لن تكون إلا به : أن تكون به س ، ه . || خير : ساقطة من ه || خلقه : الخلق ع || وآله : + قال الشيخ الرئيس رحمه الله ه .
- (٥) النفس : + الناطقة ع . || أوقف : وقف ع .
- (٦) التأدية : المؤدية ع ؛ التأدي س
- (٧) بالله : + تعالى ع .
- (٨) التقدم : المقدم ع ، س || قبله : عليه س
- (٩) يكون تحققها معيناً : فإن تحققها معين ع .

- (أ) الأول : في تعريف حدّ النفس على سبيل الاختصار .
- (ب) الثاني : في تعريف القوى النفسانية على سبيل الاختصار .
- (ج) الثالث : في الدلالة على ما تختلف به أفاعيلُ القوى المدركة من النفس .
- (د) الرابع : في الدلالة على أنّ كلّ ما كان من القوى مدركاً للصور وهي جزئية فليس يمكن أن يدركها إلا بالآلة .
- (هـ) الخامس : في الدلالة على أنّ ما كان من القوى مدركاً للصور وهي كلية فليس يمكن أن يكون إدراكها بالآلة جسمانية ، ولا تكون تلك القوة قائمة بجسم .
- (و) السادس : في بيان أن النفس كيف ومتى تستعين بالبدن ، وكيف تستغنى عن البدن ، بل يضرها البدن .
- (ز) السابع : في تأكيد صحة قيام النفس بذاتها مستغنية عن البدن والاستشهاد لتفردا بقوام الذات لتفردا بالعقل من غير مشاركة شيء من الآلات والإشارة إلى كيفية العلاقة بين النفس والبدن إن كانت غير منطبقة فيه ولا قائمة بوجه به .
- (ح) الثامن : في الدلالة على أنّ النفس حادثة مع حدوث البدن .
- (ط) التاسع : في الدلالة على أنّ النفس لا تموت بموت البدن .
- (ي) العاشر : في الدلالة على أنّ النفس لا تتعاق بعد موت البدن بيدن آخر .

(١) الترقيم الأبيدي عن نسخة ح، هـ || على سبيل الاختصار : ساقطة من س .

(٦) أن : ساقطة من س .

(١٠) يضرها : يضره س || البدن : للبدن ح .

(١١) والاستشهاد : والاستظهار س .

(١٢) لتفردا بالعقل . لتفرد العقل ح || بالعقل : بالفعل هـ .

(١٥) حادثة : الإنسانية غير موجودة قبل البدن وأنها تحدث س || البدن : + لا غير س .

(١٦) الدلالة على : ساقطة من س || البدن : + وتكون باقية بعده كما كانت معه س .

(١٧) لا تتعلق آخر : إذا فرقت بينها لا تشغل بيدن آخر ، وأن التناسخ محال س .

- (ك) الخادى عشر : فى أنه كيف يجب أن يُعتقد أن جميع القوى فى الإنسان
لنفس واحدة على ما يراه أرسطوطاليس ، وكيف يُتصور
ذلك حتى لا يعرض الشك والشبهة التى تذكر .
- (ل) الثانى عشر : فى أن العقل النظرى بالقوة كيف يخرج إلى الفعل ، وأى
شئ يخرج منها إليه ، وما ذلك الشئ ، وما محله من مراتب الموجودات .
- (م) الثالث عشر : فى أن النفس كيف تحصل لها النبوات فى حال اليقظة ،
والأحلام الصادقة فى حال النوم ، ولأى قوة ، وعن أى مبدأ
من المبادئ العالية .
- (ن) الرابع عشر : فى الرتبة القصوى التى قد تبلغها النفس الإنسانية فى الدنيا
من الشرف ، والمراتب التى بعدها المعدودة كلها فى زكاء
النفس .
- (س) الخامس عشر : فى الدلالة على الحال بعد مفارقة النفس البدن ، وتعديد
أصناف السعادة والشقاوة لأصناف النفس .
- (ع) السادس عشر : فى خاتمة الفصول والدلالة على محل هذه الرسالة .

١٥

(٢-١) فى الإنسان لنفس واحدة : من مبدأ واحد س .

(٥) منها إليه : وكيف يحدث مع حدوث البدن س .

(١١) بعدها المعدودة كلها : بعده المعدود كله س || فى : + جملة ه .

(١٣) البدن : للبدن س ، ه .

(١٤) النفس : الأفس ع .

الفصل الأول في حد النفس

نقول : إن القوى الفعالة في الأجسام بذاتها تنتهي بها القسمة إلى أقسام أربعة ؛ وذلك لأنها تنقسم بالقسمة الأولى إلى قوة تفعل فعلها في الجسم بقصد واختيار ، وقوة تفعل فعلها بالذات ، وعلى سبيل التسخير ، لا بقصد واختيار .

والقوة التي تفعل فعلها في الجسم بقصد واختيار تنقسم قسمة ذاتية أولية إلى قسمين : فإنها إما أن تكون متكررة القصد والاختيار ، فيكون فعلها في الجسم حينئذ متكرر الجهة والمأخذ ، مختلفاً إما بحسب مخالف العدم والملسكة كالتحريك والتسكين ؛ وإما بحسب تخالف الأضداد كالتحريك من أسفل إلى فوق ، والتحريك من فوق إلى أسفل ؛ وإما أن تكون وحدانية القصد والاختيار ، فيتبع ذلك أن يكون فعلها وحداني الجهة والمأخذ .

والقوة التي تفعل فعلها بالذات ، وعلى سبيل التسخير ، من غير معرفة وإرادة ، فهي أيضاً تنقسم إلى قسمين : إما أن تكون وحدانية جهة الفعل ، كالقوة الفاعلة لحركة النار إلى فوق ، أو تكون متكررة الفعل كالقوة الفاعلة لامتداد أعضاء الحيوان وأجزاء النبات في الجهات المختلفة ، والحركة للغذاء المتشابهة فيه إلى أطراف متقابلة . فجملة ذلك أربع .

١٥ وكل واحدة من هذه القوى جنس يُعم أنواعاً ؛ ولكن لكل واحد منها في طبيعته اسم يخصه .

(٢) في حد النفس : في تعريف حد النفس على سبيل الاختصار ح ، ه ؛ العنوان ساقط من س .

(٧) متكرر : متكررة ه .

(١٠) ذلك : + والقوة ح .

(١٢) إلى : ساقطة من ح ، س ، ه .

(١٤) فيه : منه س || أربع : أربعة ه .

(١٥) واحدة : ساقطة من ه || أنواعاً : + كثيرة ه || طبيعته : طبقته ه

فالقوة الفاعلة بالتسخير فعلاً أحدى الجهة مخصوصة باسم الطبيعة .
والقوة الفاعلة بالتسخير فعلاً متكثر الجهة والنوع مخصوصة باسم النفس النباتية .
والقوة الفاعلة بالقصد والاختيار المختلف الموجب لاختلاف ما يقع عليها من الفعل
مخصوصة باسم النفس الحيوانية .

والقوة الفاعلة بالقصد والاختيار الأحدى الجهة والنسبة مخصوصة باسم النفس المملكية .
وقد وجدنا هذه القوى الثلاث تشترك في اسم النفس ، ولكن الثلاثة لا يعمها حدٌّ
واحد للنفس ألبتة ، ولا بجهة من الجهات . وإن تعسف متعسفٌ في التماس الحيلة لذلك
لم يمكنه ذلك ؛ وإذا اغتر بمصادفتها يكون قد وقع في استعمال اسم مشترك على أنه متواطئ ،
ولا يشعر . وذلك لأننا إن أعطينا الثلاثة اسم النفس لأنها تفعل فعلاً ما فقط ، لزم من
ذلك أن تكون كل قوة نفساً ، وأن يكون القوة والنفس اسمين مترادفين ، وهذا غير ما
عليه توافق أصحاب الصناعة ، بل وأصحاب اللغة .

وإن أعطينا اسم النفس للقوة الفاعلة بالقصد ، وقع حدُّها على النفس الحيوانية
والمملكية ، وانفلتت منه النفس النباتية .

وإن أعطينا اسم النفس للقوة الفاعلة أفعالاً متقابلة ، وقع حدُّها على النفس الحيوانية

(١) فالقوة : والقوة س .

(٥) المملكية : الفلكية س .

(٧) ولا : ساقطة من س || وإن : فإن س .

(٨) يكون : فيكون س .

(٩) إن : إذا ع || لأنها : + قوة ه .

(١٠) القوة : للقوة ع .

(١١) توافق : توافقاً ه .

(١٢) للقوة : القوة س .

(١٣) والمملكية : ساقطة من ه || منه : عنه س (١٣-١٤) وانفلتت الحيوانية : ساقطة من س

(٤ - أحوال النفس)

والنباتية ، وانفلتت النفس الملكية .

وإن زدنا على هذه المعاني شرطاً ازداد مفهومها تخصيصاً ، فلم يعم اثنين من القوى الثلاثة ألبتة ، بل انفرد بواحد . فيجب أن يكون هذا معتقداً معلوماً ومتصوراً : أنه إن استعمل لفظ النفس على معنى يعم النفس الحيوانية والنباتية ، فالنفس مقول عليهما وعلى النفس الملكية باشتراك الاسم . وإن استعملت على معنى يعم النفس الحيوانية والملكية ، فالنفس مقول عليهما وعلى النفس النباتية باشتراك الاسم .

ولا يفتر الإنسان بما يجده من اختلاف حركات الأفلاك في عروضها وأطوالها ، حتى يظن أنها أفعال متكررة ، من شيء واحد في شيء واحد ؛ كلا ، بل لكل واحد من تلك الأفاعيل في نفسها وحدانية لا تتغير ، ولكل واحد منها موضوع آخر ، أو بعضها بالذات وبعضها بالعرض .

ثم لما كانت القوى إنما تُحدُّ بأفاعيلها ، وكانت الأفاعيل الظاهرة للنفس إماماً في أجسامها ، وإماماً بأجسامها ، لم يكن بُدٌّ من وقوع الأجسام في حدودها . والشئ الواحد يقال له صورة ، ويقال له قوة ، ويقال له كمال ، بالإضافة إلى معانٍ مختلفة . فيقال له قوة بالقياس إلى الفعل الصادر عنه ، أو الانفعال المتفرد به ؛ ويقال له صورة بالقياس إلى المادة ، لصيرورة المادة به قاعمة بالفعل ذاتاً بسيطة ؛ ويقال له كمال بالقياس إلى النوع

(١) والنباتية : والملكية ح || الملكية : النباتية ح .

(٢) زدنا : زدت س || تخصيصاً : تخصماً ح .

(٣) الثلاثة : ساقطة من ه || معلوماً : ومعلومياً ح .

(٤) لفظ : لفظه ه || عليهما : عليه س (٤ ، ٥) ، وعلى النفس الملكية : ساقطة من س (٥) يعم : ساقطة من ه .

(٦ ، ٥) وإن الاسم : ساقطة من س

(٨) من : ومن س || واحد في شيء واحد : واحد في شيء س ؛ في شيء واحد ح .

(٩) آخر أو : أجزاء ح .

(١٢) وإماماً بأجسامها : ساقطة من س || الأجسام : الأقسام س

أو الجنس ، لصيرورة الجنس به قائماً بالفعل نوعاً مركباً . و فرّق بين المادة و بين الجنس ، و فرّق أيضاً بين البسيط و بين المركب .

فالتفس قوةً بالقياس إلى فعلها ؛ و صورةً بالقياس إلى المادة الممزجة ، إن كانت نفساً منطبعة في المادة ؛ و كمالً بالقياس إلى النوع الحيواني أو الإنساني . و دلالة الكمال - بالمفهوم الخاص بالكمال - أتم من دلالتى اللفظتين الآخرين على مفهومها ؛ و أيضاً مفهوم الكمال أعم من مفهوم الصورة .

أما أنه أتم ، فلأن الكمال قياس إلى المعنى الذي هو أقرب من طبيعة الشيء وهو النوع ، لا إلى الشيء الذي هو أبعد من ذلك وهو المادة . فإن مادة طبيعة الإنسان أولى في هذا الأمر من مادة الإنسان ، فإن مادة الإنسان هي بالقوة إنسان ، و جزء من طبيعة الإنسان ؛ و الإنسان هو بالفعل إنسان ، فالنسبة إلى الإنسان أتم دلالة من النسبة إلى مادة الإنسان . ١٠ على أن الدلالة على المادة مضمونة في الدلالة على الإنسان من غير عكس ، و الكمال هناك الدلالة على أنه صورة للمادة ، كما أنه كمال للنوع .

و أما أنه أعم ، فلأن من الكالات ما ليست كالات بحسب الصورة للمادة ، فإن الرّبّان كمالٌ للسفينة التي به تصير السفينة بالفعل سفينة ؛ فإنه يشبه أن لا تكون السفينة تامة النوع أو تُحصَر جميع الأسباب التي بها يتم فعلها . و أيضاً الملك كمال المدينة ، ١٥

(١) أو الجنس : و الجنس ح .

(٣) الممزجة إن : المازجة إذا ح || إن : إذ ه .

(٤) أو الإنساني : و الإنساني س .

(٥) مفهومها : + يعني الصورة والقوة ح ؛ + في الصورة والقوة ه .

(٨) مادة : ساقطة من ه .

(٩) هي : هو س .

(١٠) فالنسبة : و النسبة ح .

(١٥) النوع أو تحصر : للنوع أو لخصر س || تحصر : تحضر س .

وعلى ذلك الشرط له ؛ ولأننا إنما نعني بالمدينة ما اجتمع على الهيئة الصالحة للغرض الواقع في الشركة بوجود جميع أجزائها وأولها الملك ، فإن سمينا كلَّ محل اجتماع في المساكن مدينةً فبإشتراك الاسم ، كما أننا إنما نسمى باليد والرأس ما كان بحيث يصدر عنه فعله الخاص به ، ويؤدي إلى الغرض الذي هو لأجله . وأمّا اليد المقطوعة والشلاء فإننا إنما نسميها يدًا بإشتراك الاسم ؛ وكذلك الميت نسميه إنسانًا بإشتراك الاسم .

فبيّن إذن أنّ المفهوم من الكمال ، وهو الشيء الذي بوجوده تتم طبيعة جنس نوعًا ، أعم من موضوع الصورة . وهو أيضاً أعم من مفهوم القوة الفعّالة في ذلك الجسم ؛ فإنه ليس كلُّ ما يكمل به نوعٌ ما فهذا شأنه ، بل ربما كان كلاً انفعالياً ، أو غير فاعل ، مثل صقالة جرم القمر ، ومثل القوى التي في الحيوان ، مما تُدرِك ولا تُحرك شيئاً . وأمّا أنه ١٠ أعم من المفهوم عن القوة فأمرٌ لا شك فيه .

فنقول الآن : إنه يجب أن يُؤخذ البدن في حدِّ النفس ، وأن يُجْعَلَ الشيء المأخوذ في حدها كالجنس كلاً . أمّا أنه يجب أن يُؤخذ البدن في حدِّ النفس ، فلأن هذا الجوهر الذي يقع عليه اسم النفس ؛ وإن كان يجوز فيه أو في نوع منه أن يتبرأ عن البدن ويفارقه ، فتكون حينئذ المواصلّة التي بينه وبين البدن منقطعة زائلة .

(١) وعلى : على س || ولأننا : ولأنه س || الواقع : المقصود هـ

(٢) فإن : وإن ح || محل : ساقطة من ح ، س ، هـ .

(٣) أنا : أنك ح || إنما : ساقطة من ح ، س ، هـ .

(٤) وأمّا اليد : فأما س ، هـ || إنما : ساقطة من س ، هـ .

(٦) طبيعة : من طبيعة كل ح .

(٧) موضوع : مفهوم ح .

(١٠) شك : يشك س .

(١١ - ١٢) وأن حد النفس : ساقطة من س .

والشيء الغير الذاتى لا يؤخذ في حد الشيء ، فإننا لسنا نسميه نفساً ، وندل به على جوهره مطلقاً ، بل نسميه نفساً ونحن نأخذ جوهره مع نسبة ماً .

وقد يكون للشيء في نفسه وجوهره اسمٌ يخصه ، وله اسمٌ آخر من جهة ماهو مضاف ، مثل : الصديق ، والتمكن ، والمنفعل ، وغير ذلك . وقد يكون لا اسم له من جهة جوهره ، ولكن لجوهره من جهة القياس إلى شيء عَرَضَ له بالقياس إليه اسمٌ ، مثل : ذنب السفينة ، والرأس ، واليد ، والجناح ، والسُكَّان . فإذا أردنا أن نعطيها حدودها من جهة الأسماء التي لها بما هي مضافة ، أخذنا تلك الأشياء الخارجة عن جواهرها في حدودها ، وإن لم تكن ذاتية لها في جواهرها ، أو كانت ذاتية لها بحسب الأسماء التي لها تلك الحدود ؛ وإن كان جوهر كل واحد منها في ذاته قد يجوز أن تفصل عنه تلك العلاقة ، ويكون حدّه الذى يخصه شيئاً آخر .

١٠

والنفس فإنما نسميها نفساً من جهة وجودها فعالةً في جسم من الأجسام فعلا من الأفاعيل . فأما بحسب جوهره الذى يخصه ، والذى يفارق به ، فلا نسميه نفساً إلا باشتراك الاسم والمجاز . والأشبه أن يكون اسمه الخاص به حينئذ العقل لا النفس . ولهذا سمّت الأوائل ما كانت من المبادئ غير الجسمانية محركا لفلان ماً على أنه يحاول التحريك بذاته

(٣) وجوهره : وفي جوهره س .

(٥) ولكن لجوهره : وليكن بجوهره س || من جهة القياس : بالقياس س || بالقياس : القياس س ،

س ، ه || ذنب السفينة : ساقطة من س ، ع ، ه .

(٧) لها : ساقطة من س || بما : س ، ع ، ه .

(٨) ذاتية : دائمة س .

(٩) عنه : منه س .

(١١) والنفس فإنما : فالنفس إنما س ، ه .

(١٣) الاسم : ساقطة من س || اسمه : ساقطة من س .

(١٤) غير : الغير س ، ع || يحاول : يحاول س .

كالعلة الفاعلية نفساً ؛ وسموا المحركاتِ المباشرةَ للحركة ، وإنما تحرك كالمعشوق ، والعلة التمامية ، عقلاً . وجمعوا عدة المحركاتِ المفارقة جملةً وسموها عقل الكل ، وعدة المحركات الواصلة المحاولة للتحريك جملةً وسموها نفس الكل ، فإنَّ الكلَّ هي السموات .

وأما الأربعة الأسطوانات وما فيها فهي جزء من الكل لا يعتد به لقلته ، فلذلك كانوا يقولون : إنَّ الكلَّ حىٌّ كحىٍّ واحدٍ ، وله نفس عاقلة ، ولنفسه العاقلة شيء كالعقل النعمال لنا . وما كانوا يلتفتون إلى القدر القافه المائت من الكل ، حتى يمتنعوا لأجله عن إطلاق القول بأن الكل حىٌّ . فعسى في أبداننا من المائت ما نسبته إلى أبداننا مُعتدَّ به .

ومع ذلك فقد نطلق القول بأنَّ كلَّ البدن حىٌّ . ولكنهم كما خصوا باسم النفس في الكل ما كان مزاولاً للتحريك لا متبرئاً عنه أصلاً ، وباسم العقل ما كان متبرئاً الذات ١٠ عن الحركة والعلاقة مع الموضوع أصلاً ، فكذلك يجب أن يقال في الأنفس الجزئية إنَّ اسمَ النفس يقع عليها باعتبار نسبته لها إلى الجسم . فإذا كان هذا هكذا فيجب أن يؤخذ البدنُ في حد النفس ، ويجب أن يوضع الجنسُ الكمالَ دون الصورة والقوة . وذلك

(١) كالمعشوق ح || والعلة : وسموا العلة ح (١ - ٢) والعلة التمامية : والتمامية ه .

(٢) عدة : هذه س || وسموها : + باسم ه || عقل المحركات : ساقطة من س .

(٣) الواصلة وسموها : ساقطة من س || فإن : كأن ح ، س ، ه .

(٤) فيها : فيه س .

(٥) القدر : المقدار ه .

(٦) معتد : يعتد ح || به : بها ح ، س .

(٧) كل : كلية س || البدن : القدر ح || كما : ساقطة من س .

(٨) فكذلك : كذلك س .

(٩) نسبته : نسبة ه || فإذا : وإذا س .

(١٠) الكمال : للكمال ح .

لأنه ليس كل ما هو نفس هو صورة للبدن ، فإن النفس الناطقة سيظهر من حالها أن قوامها ليس بأن تنطبع في مادة البدن ؛ فإذا قيل لها صورة ، فذلك باشتراك الاسم .

وأيضاً فإن النفس يُقال لها - وهي نفس في بدن - قوة بالقياس إلى التحريك ، وبالقياس إلى الإدراك . فإذا قيل لها قوة بالقياس إلى التحريك كانت بمعنى القوة الفاعلة ؛ وبالقياس إلى الإدراك كانت لا بهذا المعنى بل بمعنى القوة الانفعالية ؛ فيكون وقوع اسم القوة عليها من الجهتين بالاشتراك . وإن اقتصر على كونها قوة بأحد المعنيين ، كان ما وضع جنساً لها مقولاً عليها من جهة واحدة من جهات وجودها وهي نفس في البدن .

وقد تبين في طويلاً أن الجنس يجب أن يُحمل مطلقاً على الشيء ، ومن كل جهاته لا من جهة واحدة ، وخصوصاً على رأى من يرى أن النفس ليست ذاتاً واحدة ، بل أنفساً ، فتكون القوة المدركة عنده نفساً وليست قوة بمعنى الفاعلة ، والحركة نفساً وليست قوة بمعنى المنفصلة .

فيجب إذن أن نضع الكمال كالجنس للنفس ونقول : إنه كمال للجسم . لكن الكمال للجسم قد يكون مبدأ ، وقد يكون بعد المبدأ ، فإن الإحساس والتحريك أيضاً كمال للنوع الحيواني . وأما النفس فهي مبدأ لهذا ، فلذلك نقول : إن النفس كمال أول

(١) هو صورة : فهو صورة ه || فإن : وإت ح ، ه .

(٤) فإذا التحريك : ساقطة من س .

(٥) بهذا : لهذا || وقوع : ساقطة من ه .

(٦) الجهتين : الجنس ه || وإن : فإن ح .

(٧) جهات : جهة س (٧ - ٨) من جهة طويلاً : ساقطة من س (٨) ومن : من ح .

(١٠) الفاعلة : الفاعلة س .

(١٢) إذت : ساقطة من س ، ح .

(١٤) للنوع : النوع ح || لهذا : لها ح || فذلك : ولذلك ح ، س .

للجسم . ولأنّ الكمالات الأولية للأجسام الطبيعية تختلف بحسب اختلاف الأجسام الطبيعية ، وبحسب نوعيات الأجسام الطبيعية . ثم النفس التي نحن في تحديدها - وهي الأرضية - هي كمالٌ لنوع من الأجسام الطبيعية ، فتميز على ما يصدر عنه من الفعل الذي صدره عنه بآلات فيه ، فتكون النفس كالأولاً لجسم طبيعي آليّ ، أو لجسم ذي حياة بالقوة ، أي من شأنه أن يحيا بالنشوء ويبقى بالغذاء ؛ وإنما يحيا بإحساس وتحريكهما في قوته .

فهذا هو حد النفس .

- (١) للجسم : جسم س || للأجسام : الأحياء س || اختلاف : ساقطة من ح ، س ، ه .
- (٢) لنوع : النوع ح ، س || على : ساقطة من س ، س || عنه : عنها ه .
- (٣) صدوره : صدر ح || حياة : صورة س .
- (٤) وإنما : وربما س ، س || وتحريك : وبحركة ه .
- (٥) فهذا : وهذا ح .

الفصل الثاني

في تعريف القوى النفسانية على سبيل الاختصار

القوى النفسانية تنقسم بالقسمة الأولى أقساماً جنسية ثلاثة : أحدها النفس النباتية وهي الكمال الأول لجسم طبيعي آلى من جهة ما يتولد وينمو ويغذى ؛ والغذاء جسم من شأنه أن يتشبه بطبيعة الجسم الذي قيل إنه غذاؤه ، ويزيد فيه مقدار ما يتحلل منه ، أو أكثر أو أقل . والثاني النفس الحيوانية ، وهي الكمال الأول لجسم طبيعي آلى من جهة ما هو يُدرك الجزئيات ، ويتحرك بالإرادة . والثالث النفس الإنسانية ، وهي كمال أول لجسم طبيعي آلى من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأى ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية .

وللنفس النباتية قوى ثلاث : القوة الغذائية ، وهي قوة تحيل جسماً آخر إلى مشاكلة ١٠ الجسم الذي هي فيه ، فتلصقه به بدل ما يتحلل عنه .

(٢) في الاختصار : في قواها س ؛ العنوان ساقط من س .

(٣) هنا ابتداء الموجود في النجاة الطبعة الأولى صفحة ٢٥٨ ، وفي الشفاء صفحة ٣٨٩ || القوى ثلاثة : والنفس كجنس تنقسم بضرب من القسمة إلى ثلاثة أقسام هـ .

(٤) جهة : جملة ح || وينمو : ويربو ح ، هـ ، هـ .

(٥) قيل إنه : قيل عنه هـ || ويزيد : أيزيد هـ || يتحلل : ينحل س ، هـ .

(٧) بالإرادة : بإرادة .

(١١) به : ساقطة من ح || بدل ما : وما هـ .

والقوة النَّمِيَّة ، وهو قوة تزيد في الجسم الذي هي فيه بالجسم المتشبه به زيادة مناسبة في أقطاره طولاً وعرضاً وعمقاً ، لتبلغ به كماله في النشوء .

والقوة المولدة ، وهي القوة التي تأخذ من الجسم الذي هي فيه جزءاً هو شبهه بالقوة ، فتعمل فيه باستمداد أجسام أخرى تتشبه به من التخليق والتمزيح ما يصير شبيهاً به بالفعل .
والنفس الحيوانية بالقسمة الأولى قوتان : مُحَرِّكة ومُدْرِكَة .

والحركة على قسمين : إما محرّكة بأنها باعثة ، وإما محرّكة بانها فاعلة .

والحركة على أنها باعثة هي القوة النزوعية الشوقية ، وهي القوة التي إذا ارتسمت في التخيل - الذي سنذكره بعد - صورة مطلوبة أو مهروب عنها ، حملت القوة التي نذكرها إلى التحريك . ولها شعبتان : شعبة تسمى قوة شهوانية ، وهي قوة تبعث على تحريك يقرب به من الأشياء المتخيلة ، ضرورية أو نافعة ، طلباً للذة ؛ وشعبة تسمى قوة غضبية ، وهي قوة تبعث على تحريك يدفع به الشيء المتخيل ، ضاراً أو مفسداً ، طلباً للغلبة .

وأما القوة المحركة على أنها فاعلة فهي قوة تنبث في الأعصاب والعضلات ، من شأنها أن تشنج العضلات ، فتجذب الأوتار والرباطات المتصلة بالأعضاء إلى نحو جهة المبدأ ،

(١) النمية : النامية س || هي : هو ح .

(٢) وعمقاً : + مناسبة بقدر الواجب س || كماله : كمال كاله ح .

(٣) وهي القوة : ساقطة من س || شبهه : شبيه به س ؛ شبيه له ه ، هـ .

(٤) فتعمل : فتعمل ه || فيه : ساقطة من س || التخليق : التخلق هـ .

(٧) الشوقية : والشوقية هـ || ارتسمت : ارتسم س ، هـ ، هـ

(٨) بعد : ساقطة من س .

(٩) تبعث : تنبث هـ .

(١٠) ضرورية : ضارة ح .

(١١) تبعث : تنبث هـ || للغلبة : + والانتظام ح .

(١٢) القوة : ساقطة من س .

(١٣) بالأعضاء : بالأعصاب ح ، هـ .

أو ترخيبها أو تمددها طولاً ، فتصير الأوتار والرباطات إلى خلاف جهة البداية .

وأما القوة المدركة من خارج فهي الخواص الخمسة أو الثمانية . فمنها البصر ، وهي قوة مرتبة في العصبه المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من أشباح الأجسام ذوات اللون المتأدية في الأجسام المشفة بالفعل إلى سطوح الأجسام الصقيلة .

ومنها السمع ، وهي قوة مرتبة في العصب المفرق في سطح الصماخ ، تدرك صورة ه ما يتأدى إليه بتموج الهواء المنضغط بين قارح ومقروع مقاوم له انضغاطاً بعنف يحدث منه صوت ، فيتأدى متموجاً إلى الهواء المحصور الرائد في تجويف الصماخ ، ويحركه بشكل حركته ، وتماس أمواج تلك الحركة تلك العصبه .

ومنها الشم ، وهي قوة مرتبة في زائدتى مقدم الدماغ الشبهيتين بلمتى الندى ، تدرك ما يؤدي إليه الهواء المستنشق من الرائحة الخاطلة له بالبخار ، أو المنطبعة فيه بالاستحالة ، ١٠ من جرم ذى رائحة .

ومنها الذوق ، وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على جرم اللسان ، تدرك الطعوم المتحللة من الأجرام الماسة له ، الخاطلة للرطوبة العذبة التي فيه فتحيله .

(١) أو ترخيبها أو تمددها طولاً : ساقطة من س ، ح ؛ أو تمددها طولاً : ساقطة من ه .

(٢) المدركة : + فتقسم قسمين قوة تدرك من خارج ومنها قوة تدرك من باطن والمدركة ه || الخمسة : الخمس س ، ح || الثمانية : كونها ثمانية بناء على أن اللس جنس شامل لأربع هامس س .

(٤) المشفة : الشفافة س ، ه .

(٥) المفرق : المفرق س ، ه ؛ المفرق ه .

(٦) بتموج : من تموج ح .

(٨) العصبه : + فيدمع س .

(١٠) إليه الهواء : إليها بالهواء ح || الهواء : ساقطة من س || الخاطلة له بالبخار : الخاطلة لها

بالبخار ح ، ه ؛ الموجودة في البخار الخاطل س || المنطبعة : الرائحة المنطبعة س .

(١٣) له الخاطلة : ساقطة من ه || فيه فتحيله : فيها فتحيلها ح ، ه ؛ فيه مخاطلة فتحيله س .

ومنها اللس ، وهي قوة مرتبة في أعصاب جلد البدن كله ولحمه ، تدرك ما تماسه ، وتؤثر فيه بالمضادة ، وتغيره في المزاج أو الهيئة . ويشبه أن تكون هذه القوة لا نوعاً بل جنساً لقوى أربع منبثة معاً في الجلد كله ، واحدها حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد ، والثانية حاكمة في التضاد الذي بين اليابس والرطب ، والثالثة حاكمة في التضاد الذي بين الصلب واللين ، والرابعة حاكمة في التضاد الذي بين الخشن والأملس ؛ إلا أن اجتماعها معاً في آلة واحدة يوم تأخذها في الذات .

وأما القوى المدركة من باطن فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات ، وبعضها قوى تدرك معاني المحسوسات . ومن المدركات ما يدرك ويفعل معاً ، ومنها ما يدرك ولا يفعل ، ومنها ما يدرك إدراكاً أولياً ، ومنها ما يدرك إدراكاً ثانياً .

١٠ والفرق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى أن الصورة هي الشيء الذي تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر معاً ، لكن الحس يدركه أولاً ويؤديه إلى النفس ، مثل إدراك الشاة لصورة الذئب ، أعنى شكله وهيئته ولونه ، فإن نفس الشاة الباطنة تدركها ، ويدركها أولاً حسها الظاهر . وأما المعنى فهو الشيء الذي تدركه النفس من المحسوس من غير أن يدركه الحس الظاهر أولاً ، مثل إدراك الشاة المعنى المضاد في الذئب ، أو المعنى الموجب

(١) مرتبة : منبثة س ، نه || ولحمه : ساقطة من ح ؛ + فاشية فيه قرين الأعصاب س .

(٢) حاكمة : ساقطة من ه .

(٣) الذي : ساقطة من ه (ه) الذي : ساقطة من ه || اجتماعها : اجتماعها س .

(٤) معاً : ساقطة من س || في الذات : بالذات ؛ هنا نهاية هذا الكلام في النجاة ص ٢٦١ ، واستأنف

الكلام ص ٢٦٤ ، أما في الشفاء ص ٢٩٠ فلم ينقطع .

(٥) وإدراك : وبين إدراك س || هي : هو ح ، نه ، ه .

(٦) الباطنة : الناطقة ح ، ه || مثل : مثل ح .

(٧) فإن : وأن ح ، ه || ويدركها : ويدرك س ، س .

(٨) حسها : بحسها ح || الظاهر : ساقطة من ه || وأما : فأما ح .

(٩) أو المعنى : والمعنى س .

نخوفها إياه وهربها عنه ، من غير أن يكون الحس يدرك ذلك ألبتة . فالذى يدرك من الذئب أولاً الحس ثم القوى الباطنة هو الصورة ، والذي تدركه القوى الباطنة دون الحس هو المعنى .

والفرق بين الإدراك مع الفعل والإدراك لا مع الفعل أن من شأن أفعال بعض القوى الباطنة أن تتركب بعض الصور والمعاني المدركة مع بعض ، وتفصله عن بعض ، فيكون إدراك وفعل أيضاً فيما أدركت . وأما الإدراك لا مع الفعل فإن يكون الصورة أو المعنى يرسم في الشيء فقط من غير أن يكون له أن يفعل فيه تصرفاً ألبتة .

والفرق بين الإدراك الأول والإدراك الثاني أن الإدراك الأول هو أن يكون حصول الصورة على نحوٍ مآ من الحصول ، قد وقع للشيء من نفسه . والإدراك الثاني هو أن يكون حصولها من جهة شيء آخر أدى إليها .

١٠

فمن القوى المدركة الباطنة قوة فنتاسيا ، وهو الحس المشترك ، وهي قوة مرتبة في التجويف الأول من الدماغ ، تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمسة متأدية إليها .

(٢) هو : فهي ح .

(٣) هو : فهو ح .

(٤) شأن : ساقطة من ه .

(٥) أن تتركب : أن لا تتركب س .

(٦) أدركت : أدرك ح ، س || يكون : كون ح ؛ ساقطة من س .

(٨) والإدراك الثاني : هو والثاني س .

(٩) قد : الذي قد ح ؛ وقد ه || من : في ، س (١٠) حصولها : + له ه .

(١١) القوى : القوة س || الباطنة : الحيوانية ه || فنتاسيا : بنتاسيا س || وهو الحس :

والحس س .

(١٣) متأدية : التأدية ح || إليها : إليه س .

ثم الخيال والمصوّرة ، وهي قوة مرتبة أيضاً في آخر التجويف المقدم من الدماغ ، تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية الخمسة ، وتبقى فيها بعد غيبة المحسوسات .

واعلم أنّ القبول بقوة غير القوة التي بها الحفظ ؛ واعتبر ذلك من الماء ، فإنّ له قوة قبول النقش ، وليس له قوة حفظه .

٥ ثم القوة التي تسمى متخيلاً بالقياس إلى النفس الحيوانية ، ومفكرةً بالقياس إلى النفس الإنسانية . وهي قوة مرتبة في التجويف الأوسط من الدماغ عند الدودة ، من شأنها أن تركب بعض ما في الخيال مع بعض ، وتفصل بعضه عن بعض ، بحسب الاختيار .

١٠ ثم القوة الوهمية ، وهي قوة مرتبة في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، تدرك المعاني الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية ، كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروب عنه ، وأن الولد معطوف عليه .

ثم القوة الحافظة الذاكرة ، وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية . ونسبة القوة الحافظة إلى القوة الوهمية ، كنسبة القوة التي تسمى خيلاً بالقياس إلى الحس . ونسبة تلك القوة إلى المعاني كنسبة هذه القوة إلى الصور المحسوسة .

١٥ فهذه هي قوى النفس الحيوانية .

(١) والمصورة : والصورة ح ؛ والتصورة س || آخر : أجزاء ه .

(٢) فيها : فيه س ، س .

(٣) بقوة : لقوة س || واعتبر : فاعتبر ح ، س ، ه (٣ ، ٤) قوة قبول : قبول س ، س

(١٠) عنه : منه ه .

(١٣) الحس : + المشترك س .

(١٤) الصور : الصورة س ، ح ،

وأما النفس الناطقةُ الإنسانيةُ فتنقسم قواها أيضاً إلى قوةٍ عاملة ، وقوةٍ عالمة . وكل واحدة من القوتين تسمى عقلاً باشتراك الاسم .

فالعامة قوةٌ هي مبدأ حركةٍ لبدن الإنسان إلى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالروية ، على مقتضى آراء تخصها اصطلاحية . ولها اعتبارٌ بالقياس إلى القوة الحيوانية النزوعية ، واعتبارٌ بالقياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة ، واعتبارٌ بالقياس إلى نفسها . وقياسها إلى القوة الحيوانية النزوعية أن تحدث عنها فيها هيئات تخص الإنسان يتبها بها لسرعة فعلٍ وانفعال ، مثل : الخجل ، والحياء ، والضحك ، والبكاء ، وما أشبه ذلك . وقياسها إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة هو أن تستعملها في استنباط التدابير في الأمور الكائنة والفاصلة ، واستنباط الصناعات الإنسانية . وقياسها إلى نفسها أن فيما بينها وبين العقل النظرى تتولد الآراء الذائعة المشهورة ، مثل : أن الكذب قبيح ، والظلم قبيح ، وما أشبه ذلك من المقدمات . المحدودة الانفصال عن العقلية المحضة في كتب المنطق .

وهذه القوة هي القوة التي يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن ، على حسب ما توجهه أحكام القوة الأخرى التي نذكرها حتى لا تنفعل عنها ألبتة ، بل تنفعل هي عنها ، وتكون مقموعة دونها ، لئلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الأمور الطبيعية ،

(١) في النجاة ص ٢٦٧ هذا العنوان : فصل في النفس الناطقة .

(٢) حركة : الحركة ح .

(٥) نفسها : أنفسها ه .

(٦) عنها فيها : فيها لها ح ؛ منها فيها س ؛ فيها ه .

(٨) واستنباط : واستنباطات ح .

(١٠) والظلم : وأن الظلم س .

(١١) في كتب : يكتب ح .

(١٢) القوة التي : التي ح ، س ، ه || تتسلط : تسلط س .

وهي التي تسمى أخلاقاً رذيلة . بل يجب أن تكون غير منفصلة ألبتة ، وغير منقادة ، بل متسلطة ، فيكون لها أخلاق فضيلة . وقد يجوز أن تُنسب الأخلاق إلى القوى البدنية أيضاً ، ولكن إن كانت هي الغالبة تكون لها هيئة فعلية ، وهذه هيئة انفعالية ، فيكون شيء واحد يحدث منه خلقٌ في هذا ، وخلقٌ في ذلك . وإن كانت هي المغلوبة تكون لها هيئة انفعالية ، وهذه هيئة فعلية غير غريبة . أو يكون الخلق واحداً ، وله نسبتان .

وإنما كانت الأخلاق عند التحقيق لهذه القوة ، لأنَّ النفس الإنسانية - كما يظهر من بعد - جوهرٌ واحدٌ ، وله نسبةٌ وقياسٌ إلى جنبتين : جنبةٌ هي تحته ، وجنبةٌ هي فوقه ؛ وله بحسب كلِّ جنبة قوةٌ بها تنتظم العلاقة بينها وبين تلك القوة . فهذه القوة العملية هي القوة التي لها بالقياس إلى الجنبة التي دونها ، وهي البدن وسياسته .

وأما القوة النظرية فهي القوة التي لها بالقياس إلى الجنبة التي فوقها لتنفعل ، وتستفيد منها ، وتقبل عنها . فكأنَّ للنفس وجهين : وجه إلى البدن ، ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل ألبتة أترأ من جنس مقتضى طبيعة البدن ؛ ووجه إلى المبادئ العالية ، ويجب أن يكون هذا الوجه دائماً القبول عما هناك ، والتأثر منه هذا .

(١) رذيلة : رديئة س ؛ رذيلية نه .

(٢) فضيلة : فضيلية نه .

(٣) إن : إذا ه || وهذه : ولهذا ح ، س .

(٤) ذلك : ذلك ح ، نه .

(٥) وهذه : ولهذا ح ، س ، ه .

(٦) تحته : تحت س || فوقه : فوق س .

(٩) وهي : وهو ح ، س ، ه .

(١٠) التي : ساقطة من ه .

(١١) منها : منه س ، نه || عنها : عنه س ، نه || فكأن : وكان س ، نه || للنفس : + منها س .

(١٣) والتأثر : والتأثير نه || منه : عنه ه .

وأما القوة النظرية فهي قوة من شأنها أن تنطبع بالصورة الكلية المجردة عن المادة .
فإن كانت مجردة بذاتها فذاك ، وإن لم تكن فإنها تُصَيَّرُها مجردة بتجريدتها إياها ، حتى
لا يبقى فيها من علائق المادة شيء . وسنوضح هذا بعد .

وهذه القوة النظرية لها إلى هذه الصورة نسبة ؛ وذلك لأن الشيء الذي من شأنه أن
يقبل شيئاً ، قد يكون بالقوة قابلاً له ، وقد يكون بالفعل .

والقوة تقال على ثلاثة معانٍ بالتقديم والتأخير : فيقال قوة للاستعداد المطلق الذي
لا يكون خرج منه إلى الفعل شيء ، ولا أيضاً حصل ما به يخرج ؛ وهذا كتقوة الطفل على
الكتابة . ويقال قوة لهذا الاستعداد إذا لم يحصل للشيء إلا ما يمكنه به أن يتوصل إلى
اكتساب الفعل بلا واسطة ؛ كتقوة الصبي الذي ترعرع وعرف القلم والدواة وبسائط
الحروف على الكتابة . ويقال قوة لهذا الاستعداد إذا نَمَّ بالآلة ، وحدث مع الآلة أيضاً ١٠
كحال الاستعداد ، بأن يكون له أن يفعل متى شاء بلا حاجة إلى الاكتساب ، بل يكفي
أن يقصد فقط ؛ كتقوة الكاتب المستكمل الصناعة إذا كان لا يكتب .

والقوة الأولى تسمى قوة مطلقاً وهيولانية ؛ والقوة الثانية تسمى قوة ممكنة ؛ والقوة
الثالثة تسمى ملكة . وربما سميت القوة الثانية ملكة ، والثالثة كمال قوة .

- (١) في النجاة ص ٢٦٩ عنوان « فصل في القوة النظرية » .
- (٢) مجردة بذاتها : سائطة من س || فذاك : فذاك ع || إياها : إياه س .
- (٤) الصورة نسبة : الصور نسب س ، مه || نسبة : نسب هـ .
- (٧) منه إلى الفعل : بالفعل منه س ؛ منه بالفعل ع ، هـ || وهذا : وهذه هـ .
- (٨) لهذا الاستعداد : هذه الاستعدادات س || لم : + كان هـ .
- (٩) بلا واسطة : بالواسطة س .
- (١١) بأن : وبأن ع || يكفي : بكيفية هـ .
- (١٤) ملكة : الملكة ع .

فالقوة النظرية إذن تارة تكون نسبتها إلى الصورة المجردة التي ذكرناها نسبةً ما بالقوة المطلقة ، حتى تكون هذه القوة للنفس لم تقبل بعد شيئاً من الكمال الذي بحسبها ، وحينئذ تسمى عقلاً هيولانياً . وهذه القوة التي تسمى عقلاً هيولانياً موجودة لكل شخص من النوع . وإنما سميت هيولانية تشبيهاً بالهيولى الأولى ، التي ليست هي بذاتها ذات صورة من الصور ، وهي موضوعة لكل صورة .

وتارة نسبةً ما بالقوة الممكنة ، وهي أن تكون القوة الهيولانية قد حصل فيها من الكمالات المعقولات الأولى التي يتوصل منها وبها إلى المعقولات الثانية - أعني بالمعقولات الأولى المقدمات التي يقع بها التصديق لا بالاكتساب ، ولا بأن يشعر المُصدِّق بها أنه كان يجوز له أن يخلو عن التصديق بها وقتاً ألبتة ، مثل اعتقادنا بأن الكل أعظم من الجزء ، وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية - فما دام إنما حصل فيه من العقل هذا القدر بعد ، فإنه يسمى عقلاً بالملكة . ويجوز أن يسمى هذا عقلاً بالفعل بالقياس إلى الأولى ، لأن تلك بعد ليس لها أن تعقل شيئاً بالفعل ، وأما هذه فإنها تعقل إذا أخذت تقيس بالفعل .

وتارة نسبةً ما بالقوة الكعالية ، وهو أن يكون قد حصل فيها أيضاً الصورة المعقولة المكتسبة بعد المعقولة الأولية ؛ إلا أنه ليس يطالعها ويرجع إليها بالفعل ، بل كأنها عنده

(١) ذكرناها : ذكرناها ه .

(٣) وهذه هيولانياً : ساقطة من ه .

(٤) هيولانية : هيولانياً ح || التي ليست : وليست س .

(٦) القوة : بالقوة س || قد : وقد س .

(٧) الكمالات : ساقطة من ح ، ه .

(١٠) إنما حصل : يحصل ح || حصل : يحصل ه .

(١١) عقلاً بالملكة ويجوز أن يسمى : ساقطة من س || الأولى : الأول س || تلك : الأولى ح ؛

ساقطة من س .

(١٣) وتارة : + تكون ه || الصورة : الصور س .

مخزونة ، فمتى شاء طاع تلك الصورة بالفعل فعقلها ، وعقل أنه عقلها ؛ ويسمى عقلا بالفعل لأنه عقل يعقل متى شاء بلا تكلف اكتساب ، وإن كان يجوز أن يسمى عقلا بالقوة بالقياس إلى ما بعده .

وتارة يكون نسبةً ما بالفعل المطلق ، وهو أن تكون الصورة المعقولة حاضرةً فيه ، وهو يطالعها بالفعل ، فيعقلها بالفعل ، ويعقل أنه يعقلها بالفعل ، فيكون حينئذ عقلا مستفاداً . ٥
وإنما سُمي عقلا مستفاداً لأنه سيتضح لنا أن العقل بالقوة إنما يخرج إلى الفعل بسبب عقل هو دائماً بالفعل ، وأنه إذا اتصل به العقل بالقوة نوعاً من الاتصال انطبع منه بالفعل نوع من الصور تكون مستفادة من خارج .

فهذه أيضاً مراتب القوى التي تسمى عقولا نظرية .

وعند العقل المستفاد يتم الجنس الحيواني ، والنوع الإنساني منه . وهناك تكون القوة ١٥ الإنسانية تشبهت بالمبادئ الأولية للوجود كله .

فاعتبر الآن وانظر إلى هذه القوى كيف يرؤس بعضها بعضاً ، وكيف يخدم بعضها بعضاً ؛ فإنك تجد العقل المستفاد بل العقل القدسي رئيساً ، ويخدمه الكل ، وهو الغاية القصوى . ثم العقل

(٢) عقل : فعل س ، ح ، فاعل فعل ه || بلا تكلف اكتساب : من غير اكتساب س ؛ بلا تكلف من غير اكتساب ه .

(٤) الصورة : الصور س .

(٧) هو دائماً بالفعل : كأنما هو بالفعل ح || وأنه : فإنه ح || به : ساقطة من س ، ح || منه : فيه س

|| بالفعل : + فيه س ، ه ، ه .

(٩) أيضاً : + من ح .

(١١) الإنسانية : ساقطة من ه || تشبهت : شبيهة ح .

(١٢) إلى : ساقطة من ه .

(١٣) بل العقل القدسي : ساقطة من س ، ح || وهو : فهو ح .

بالفعل يخدمه العقل بالملكة ، ثم العقل الهولاني بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة . ثم العقل العملي يخدم جميع هذا ، لأنَّ العلاقة البدنية ، كما سيتضح بعد ، لأجل تكميل العقل النظري وتزكيته ؛ والعقل العملي هو مدبِّرُ تلك العلاقة . ثم العقل العملي يخدمه الوهم . والوهم يخدمه قوتان : قوة بَعْدَه وقوة قَبْلَه ؛ فالقوة التي بَعْدَه هي القوة التي تحفظ ما أدَّاه الوهم ؛ والقوة التي قبله هي جميع القوى الحيوانية . ثم المتخيلة تخدمها قوتان مختلفتا المآخذين ، فالقوة النزوعية تخدمها بالاعتبار له لأنه يبعثها على التحريك ، والقوة الخيالية تخدمها بقبول التركيب والتفصيل فيما فيه من صورها . ثم هذان رئيسان لطائفتين : أمَّا القوة الخيالية فيخدمها فنتاسيا ، وفتاسيا تخدمها الحواس الخمس .

وأما القوة النزوعية فتخدمها الشهوة والغضب . والشهوة والغضب تخدمها القوة المحركة ١٠ في العضل . فها هنا تفتى القوى الحيوانية .

ثم القوى الحيوانية بالجملة تخدمها النباتية ، وأولها ورأسها المولدة ؛ ثم التنمية تخدم المولدة ؛ ثم الفاذية تخدمها جميعاً . ثم القوى الطبيعية الأربع تخدم هذه ، وهي الهاضمة والجاذبة والماسكة والدافعة ، والهاضمة منها تخدمها الماسكة من جهة الجاذبة من جهة ، والدافعة تخدم جميعها . وتخدم جميعها الكيفيات الأربع ، لكن الحرارة تخدمها البرودة ، وتخدم كليهما ١٥ اليبوسة والرطوبة . وهناك آخر درجات القوى .

(١) ثم العقل الهولاني بالملكة : ساقطة من س .

(٢) هذا : هذه ح ، ه .

(٤) أداه : أدى س .

(٦) فالقوة : والقوة س || لأنه : لأنها ح ، ه ، ه .

(٨) الخمس : الخمسة ه .

(١٠) تفتى : تنتهى ه .

(١١) التنمية : المربية ح ، س ؛ التنمية ه .

(١٣ ، ١٤) والهاضمة منها تخدمها الماسكة من جهة الجاذبة من جهة ، والدافعة تخدم جميعها : الهاضمة

وتخدمها من جهة الماسكة وهي جهة الجاذبة وتخدمها جميعاً الدافعة ومن جهة الدافعة والجاذبة ح ؛ الهاضمة

تخدمها من جهة الماسكة ومن جهة الدافعة والماسكة تخدم جميعها س .

الفصل الثالث

في اختلاف أفعال القوى المدركة من النفس

- يُشبه أن يكون كل إدراك إنما هو أخذ صورة المدرك ، فإن كان لمادى فهو أخذ صورته مجردة عن المادة تجريداً مآ . إلا أن أصناف التجريد مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ؛
- فإن الصورة المادية تعرض لها بسبب المادة أحوالٌ وأمورٌ ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي
- تلك الصورة . فتارةً يكون النزع نزعاً مع تلك العلائق كلها أو بعضها . وتارةً يكون النزع نزعاً كاملاً ، بأن يجرد عن المادة وعن اللواحق التي لها من جهة المادة . مثله أن الصورة
- الإنسانية ، والماهية الإنسانية ، طبيعة لا محالة ، يشترك فيها أشخاص النوع كله بالسوية ؛ وهي بحدّها شيء واحد . وقد عرض لها أنْ وُجِدَتْ في هذا الشخص وذلك الشخص
- فكثرت ، وليس لها ذلك من جهة طبيعتها الإنسانية . ولو كانت الطبيعة الإنسانية يجب
- فيها التكثر لما كان يوجد إنسانٌ محمولاً على واحدٍ بالعدد . ولو كانت الإنسانية موجودةً

(٢) في اختلاف أفعال قواها س العنوان ساقط من س ؛ فصل في الفرق بين إدراك الحس وإدراك التخيل والوهم وإدراك العقل من س ٢٧٥ ؛ في الدلالة على ما تختلف به أفعال القوى المدركة من النفس ه .

(٣) لمادى : المبادى ح ، المادى س ، ه .

(٤) إلا أن أصناف : لأن الأصناف من ح || أصناف : الأصناف من ه .

(٥) الصورة : الصور س ، س || هي : ساقطة من ه || جهة : جملة ح .

(٧) لها : ساقطة من ح .

(٩) بحدّها : يحدّها ح .

(١٠) الطبيعة : ساقطة من س ، ح .

(١١) كان يوجد : كان أن يوجد س .

زيدٍ لأجل إنسانيته لما كانت لعمره - فإذن إحدى العوارض التي تعرض للصورة الإنسانية من جهة المادة هو التكثر والاقسام لم ويعرض لها أيضاً غير هذه العوارض ، وهي أنها إذا كانت في مادة ما حصلت بقدرٍ من الكم والكيف والأين والوضع . وجميع هذه أمورٌ غريبةٌ عن طباعها ، لأنه لو كانت لأجل الإنسانية هي على هذا الحد ، أو حدٍ آخر من الكم والكيف والأين والوضع ، لكان يجب أن يكون كلُّ إنسانٍ مشاركاً للآخر في تلك المعاني ؛ ولو كان لأجل الإنسانية على حدٍ آخر وجهة أخرى من الكم والكيف والأين والوضع ، لكان كلُّ واحدٍ من الناس يجب أن يشتركوا فيه . فإذن الصورة الإنسانية بذاتها غيرٌ مستوجبةٌ أن يلحقها شيءٌ من هذه اللواحق .

فهذه اللواحق عارضة لها من جهة المادة ضرورةً ، لأنَّ المادة التي تقارنها تكون قد لحقتها هذه اللواحق . فالجس يأخذ الصورة عن المادة مع هذه اللواحق ، ومع وقوع نسبةٍ بينها وبين المادة ، فإذا زالت تلك النسبة بطل ذلك الأخذ ، وذلك لأنه [لا] ينزع الصورة عن المادة مع جميع لواحقها ، ولا يمكنه أن يستثبت تلك الصورة إن غابت المادة ، فيكون كأنه لم ينزع الصورة عن المادة نزاعاً محكمًا ، بل يحتاج إلى وجود المادة أيضاً في أن تكون تلك الصورة موجودةً لها .

(١) لأجل : + أنها ه || إنسانيته : إنسانية ح || لما : كما س || للصورة : للصورة س .

(٢) وجميع : جميع ه .

(٣) طباعها : + وذلك ه .

(٤) للآخر : لآخر ح .

(٥) الصورة : الصورة س .

(٦) اللواحق : + غريبة ح .

(٧) فإذا : إذا س ، ه ؛ وإذامه || الأخذ : الأصل ح || لا : زيادة في النجاة والشفاء ، وقد

أثبتناها لاستقامة المعنى .

(٨) يستثبت : يثبت ح || فيكون كأنه : فكأنه ح .

وأماً الخيال والتخيل فإنه يبرىء الصورة المنزوعة عن المادة تبرئةً أشد ، وذلك أنه يأخذها عن المادة بحيث لا يحتاج في وجودها فيها إلى وجود مادتها ، لأنَّ المادة ، وإن غابت وبطلت ، فإنَّ الصورة تكون ثابتةً الوجود في الخيال ، إلا أنها لا تكون مجردةً عن اللواحق المادية . فالחס لم يجرد لها عن المادة تجريداً تاماً ، ولا جردها عن لواحق المادة .
وأماً الخيال فإنه قد جردها عن المادة تجريداً تاماً ، ولكنه لم يجردها ألبتة من لواحق المادة ، لأن الصورة في الخيال هي على حسب الصورة المحسوسة ، وعلى تقدير مآ ، وتكييف مآ ، ووضع مآ . وليس يمكن في الخيال ألبتة أن تتخيل صورةً هي بحالٍ يمكن أن يشترك فيه جميع أشخاص ذلك النوع ، فإنَّ الإنسان المتخيل يكون كواحدٍ من الناس . ويجوز أن يكون ناسٌ موجودين ومتخيلين ليسوا على نحو ما يتخيل الخيال ذلك الإنسان .

وأما الوهم فإنه قد تمدى قليلاً عن هذه المرتبة في التجريد، لأنه ينال المعاني التي ليست هي في ذاتها بادية ، وإن عرّض لها أن تكون في مادة ؛ وذلك لأنَّ الشكل واللون والوضع وما أشبه ذلك ، أمورٌ لا يمكن أن تكون إلا لمواد جسمانية .
وأما الخير والشر ، والموافق والمخالف ، وما أشبه ذلك ، فهي أمورٌ في أنفسها غير مادية ،

(١) تبرئة : تبرئاً س || وذلك أنه : وكذلك ج ؛ وذلك هـ .

(٢) مادتها : مادته س ، س .

(٣) مجردة : جرده س .

(٤) فالחס : والחס س .

(٥) ولكنه : ولكن ج ، س .

(٦) الصورة المحسوسة : الصور المحسوسة ج ، س .

(٩) موجودين : موجودون س ، هـ || ومتخيلين : ومتخيلون س ، ج ، هـ ؛ متخيلوت س .

(١٠) التي : ساقطة من س || هي : ساقطة من س .

(١٢) ذلك : + هي ج || لمواد : في مواد هـ .

(١٣) فهي : فهو س .

وقد يعرض لها أن تكون في مادة ؛ والدليل على أن هذه الأمور غيرُ مادية ، أن هذه الأمور لو كانت بالذات ماديةً لما كانت تعقل خيراً أو شراً ، وموافقاً أو مخالفًا ، إلا عارضاً لجسم ، وقد تعقل ذلك . فبيّن أن هذه الأمور هي في أنفسها غيرُ مادية ، وقد عرض لها أن كانت مادية .

٥ والوهم إنما ينال ويُدرك أمثالَ هذه الأمور ، فإذاً هو يُدرك أموراً غير مادية ، ويأخذها عن المادة . فهذا النزاع إذن أشدُّ استقصاءً ، وأقربُ إلى البساطة من النزعين الأولين ، إلا أنه مع ذلك لا يجرد هذه الصورة عن لواحق المادة ، لأنه يأخذها جزئيةً ، وبحسب مادةٍ ماديةٍ ، وبالقياس إليها ، وبمشاركة الخيال فيها .

وأما القوة التي تكون الصور المستتبّة فيها ، إمّا صور موجودات ليست بمادية ألبتة ١٠ ولا يعرض لها أن تكون مادية ؛ أو صور موجودات ليست بمادية ولكن قد يعرض لها أن تكون مادية ؛ أو صور موجودات مادية ولكن مبرأة عن علائق المادة من كل وجه . فبيّن أنها تدرك الصور بأن تأخذها أخذاً مجرداً عن المادة من كل وجه .

أمّا ما هو متجرد بذاته عن المادة ، فالأمر فيه ظاهر .

وأمّا ما هو موجود للمادة ، إمّا لأنَّ وجوده ماديٌّ ، وإما عارض له ذلك ، فينزعها

(٢) عارضاً لجسم : عارضة بالجسم ح .

(٣) وقد: ولكن قدمه || الأمور : أمور ح .

(٥) هو : هي س ، س ؛ الوهم س .

(٦) المادة : ساقطة من هـ || لأنه : لأنها س ، س .

(٧) وبالقياس : بالقياس س || إليها : + ومتعلقة بصور محسوسة مكثوفة بلواحق المادة ولأنه يأخذها س ، نه

|| وبمشاركة : أو بمشاركة ح ؛ بمشاركة س .

(١١) مادية : + كصورة الإنسانية هـ .

(١٣) عن المادة : ساقطة من س .

(١٤) للمادة : في المادة س .

عن المادة من كل وجه وعن لواحق المادة معها ، فيأخذها أخذاً مجرداً ، حتى يكون الإنسان الذي يقال على كثيرين ، فيأخذ الكثير طبيعة واحدة ، ويفرزه عن كل كم وكيف وأين ووضع مادي ، ثم يجرده عن ذلك بما يصلح أن يُقال على الجميع .

فبهذا يفترق إدراك الحاكّم الحسى ، وإدراك الحاكّم الخيالى ، وإدراك الحاكّم الوهمى ، وإدراك الحاكّم العقلى .

وإلى هذا كنا نسوق الكلام فى هذا الفصل .

-
- (١) من كل وجه : ساقطة من س ، س ، هـ .
 - (٢) ويفرزه : ويفرده س .
 - (٤) يفترق : يفرق ع .
 - (٦) كنا : المعنى هـ || هذا : ساقطة من هـ .

الفصل الرابع

في الدلالة على أن كل ما كان من القوى مدركاً فليس مدركها إلا بالآلة

فنقول : أمّا المدرك من الصور الجزئية كما تدركه الحواس الظاهرة على هيئة غير تامة التجريد والتفريد عن المادة ، ولا مجردة أصلاً عن علائق المادة ، فالأمر فيه واضح سهل .
وذلك لأنّ هذه الصور إنما تُدرك ما دامت المواد حاضرةً وموجودة . والجسم الحاضر الموجود إنما يكون حاضراً موجوداً عند جسم ، وليس يكون حاضراً عند ما ليس بجسم ، فإنه لا نسبة له إلى قوة مجردة من جهة الحضور والغيبية ؛ فإنّ الشيء الذي ليس في مكان لا يكون للشيء المكنى إليه نسبةً في الحضور عنده ، والغيبية عنده ، بل الحضور لا يقع إلا على وضعٍ وقربٍ وبعديٍّ للحاضر عند الحضور . وهذا لا يمكن إذا كان الحاضر جسماً ، إلا أن يكون الحضور جسماً أو في جسم .

وأما المدرك للصور الجزئية على تجريد تام من المادة ، وعدم تجريد ألبتة من العلائق

(٢) في بآلة : في أن إدراكها يكون بآلات في حال س ؛ سابقطة من س ؛ فصل في أنه لا شيء من المدرك للجزئي بمجرد ، ولا من المدرك للكلّي بآلة ، وكل إدراك جزئي فهو بآلة جسمانية له ؛ في أن المدركات الجزئية إنما هي بآلة ه .

(٣) الظاهرة : + وهو المدرك ه .

(٤) والتفريد : والتفريق س ، ه || ولا مجردة : والمجردة ه .

(٥) هذه : أخذ ه || وموجودة : موجودة س || والجسم : فالجسم ح .

(٧) قوة : القوة ه || مجردة : مفردة س ، ه || والغيبية : سابقطة من س .

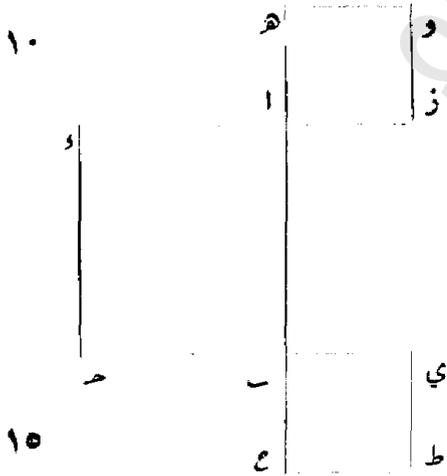
(٨) والغيبية : ولا الغيبية س || عنده : عنه ح ، س ، ه .

(١١) المدرك : المدركة ح .

كالخيال ، فهو لا يتخيل إلا أن ترسم الصورة الخيالية فيه في جسم ارتساماً مشتركاً بينه وبين الجسم .

ولنفرض الصورة المرسمة في الخيال صورة زيد على شكله وتخطيطه ، ووضع أعضائها بعضها عند بعض ، فنقول : إن تلك الأجزاء والجهات من أعضائه يجب أن ترسم في جسم ، وتختلف جهات تلك الصورة في جهات ذلك الجسم ، وأجزاءه في أجزاءه .

ولننقل صورة زيد إلى صورة مربع $ا ب ح د$ المحدود المقدار ، والجهة ، والكيفية ، واختلاف الزوايا بالعدد . وليكن متصلاً بزوايتي $ا ب$ منه مربعان كل واحد مثل الآخر ، ولكل واحد جهة معينة ، لكنهما متشابهتا الصورة . ويرسم من الجملة صورة شكل جزئية واحدة بالعدد في الخيال . فنقول : إن مربع $ا هـ و ز$ وقع غيراً بالعدد لمربع $ب ح ط ي$



ووقع في الخيال منه بجانب اليمين ، ومتميزاً بالوضع في الخيال ، فلا يخلو إما أن تكون لصورة المربعة أو تكون لعارض خاص له في المربعة غير صورته ، أو تكون للمادة التي هي تنطبع فيه . ولا يجوز أن تكون مغايرته له من جهة الصورة المربعة ، وذلك أننا فرضناهما متشاكلين متشابهين متساويين .

ولا يجوز أن يكون ذلك لعارض يخصه . أما أولاً فلأننا لا نحتاج في تخيله يمينا إلى اعتبار

(٣) أعضائها : أعضائه هـ .

(٧) وليكن : وليكن س || واحد : + منها هـ .

(١٠) ومتميزاً : + عنه هـ .

(١٣) هي : ساطعة من س || فيه : فيها ح .

(١٤) مغايرته : مغايرة ح ، س .

(١٥) متشاكلين : شكلين هـ .

(١٦) لعارض : + خاص ح || فلأننا : فإننا ح .

إيقاع عارض فيه ليس في ذلك . وأما ثانياً فإنَّ ذلك العارض إما أن يكون شيئاً في نفسه لذاته ، أو يكون شيئاً له بالقياس إلى ما هو شكله في الموجودات حتى يكون كأنه شكل منزوع عن موجود هو لهذا الخيال ، أو يكون شيئاً له بالقياس إلى القوة القابلة ، أو يكون شيئاً له بالقياس إلى المادة الحاملة . ولا يجوز أن يكون شيئاً له في نفسه من العوارض التي تخصه ، لأنه إما أن يكون لازماً أو زائلاً ؛ ولا يجوز أن يكون لازماً له بالذات ، إلا وهو لازمٌ لمشاركة في النوع ، فلا يكون لهذا عارض لازم ليس كذلك . وأيضاً فإنه لا يجوز إن كان هو في قوة غير متجزئة أن يعرض له شيء دون الآخر الذي هو مثله ، ومحلهما واحد غير متجزئ ، وهو القوة القابلة . ولا يجوز أن يكون زائلاً ، لأنه يجب إذا زال ذلك الأمر أن تتغير صورته في الخيال ؛ والخيال إنما يتخيله هكذا ، لا بسبب شيء يقرنه به ، بل يتخيله كذلك كيف كان . ولهذا لا يجوز أن يقال إن فرض الفارض جعله بهذه الحال ، كما يجوز أن يقال في مثله للمعقول ؛ وذلك لأنه تبقى المسألة بحالها ، فيقال كيف أمكن للفارض أن يفرضه بهذه الحال فتميز عن الثاني ، وما الشيء الذي يعمل به حتى فرض هذا هكذا ، وذلك كذلك .

وأما في الكلى فهناك أمرٌ يقرنه به العقل وهو حدُّ التيامن مع حد التياسر ، وذلك الحد لأمرٍ معقولٍ كلىً بصح . وأما لهذا الجزئي فليس يوجد له هذا الحد دون صاحبه ، إلا لأمر به يستحق زيادة هذا الحد دون صاحبه ، ولا الخيال يفرضه هكذا بشرطٍ يقرنه به ،

(٣) لهذا الخيال : بهذه الحالة س .

(٥) زائلاً : زائداً ه .

(٦) النوع : + فإن المربعين وضعا متساويين || كذلك : لذلك ه .

(٩) بسبب : لسبب ح .

(١١) للفارض : الفارض س .

(١٦) به : ساقطة من ح || هكذا بشرط : هذا الشرط ح .

بل يتخيله كذلك دفعةً على أنه في نفسه ، كذلك لا يفرضه فيتخيل هذا يميناً وذاك يساراً إلا بسبب شرطٍ يُقرن بذلك أو بهذا . وحد التيامن والتياسر يلحق هناك المربع ، وهو مربع لم يعرض له شيء آخر لحوق الكلي بالكلي . وأما ها هنا فما لم يقع له أولاً وضعٌ محدودٌ جزئى ، فلا يقع تحت الحد ، ليس الفرض ها هنا يجعله بذلك الوضع في الخيال ؛ بل وقوع ذلك الوضع في الخيال يجعله بحيث يصدق عليه ذلك الفرض . والخيال ليس عنده حدٌ ألبته ، لأن الحدَّ كلياً ، فكيف يلحق هوية الحد ؟ فقد بطل أن يكون هذا التمييز بسبب عارضٍ ، لازم أو غير لازم ، في ذاته أو مفروض ، فنقول :

ولا يجوز أن يكون ذلك بانقياس إلى الشيء الموجود الذى هو خياله ، وذلك لأنه كثيراً ما يتخيل ما ليس ، ولا تكون نسبة ألبته إلى ما ليس . وأيضاً فإن وقع لأحد المربعين نسبةً إلى جسم ، وللمربع الآخر نسبةً أخرى ، فليس يجوز أن يقع ومحلها غير ١٠ منقسم . وليس أحد المربعين الخياليين أولى بأن يُنسب إلى أحد المربعين الخياليين دون الآخر ، إلا أن يكون قد وقع هذا في نسبةٍ للحامل إلى الجسم لا يقع الآخر فيها ، فيكون إذن محلٌّ ذلك غير محل هذا ، وتكون القوة منقسمةً ؛ ولا تنقسم بذاتها بل بانقسام ما فيها ، فتكون جسمانيةً ، والصورة مرتسمة في جسم . فإذاً ليس يصح أن يفترق المربعان في الخيال لافتراق المربعين الموجودين ، وبالقياس إليهما ، فبقي أن يكون ذلك إما بسبب افتراق ١٥ الجزء من القوة القابلة ، أو الجزء من الآلة التى بها تعقل القوة . وكيف كان فالحاصل يبقى

(١) كذلك : لذلك ع || كذلك لا : حتى لا ع .

(٤) فلا : حتى لا ع .

(١٠) ومحلها : محلها ع .

(١١) وليس : فليس ع || الخياليين : + بجسمانيين س ؛ الخارجين ه .

(١٢) قد : ساقطة من ع ، س || للحامل : الحامل س ، ع .

(١٦) فالحاصل : فإن الحاصل س ، س .

أنَّ الإدراك بمادة جسمانية . أما القوة القابلة فلأنها لا تنقسم إلا بانقسام مادتها ؛ وأما الآلة الجسمانية ، فهي التي إياها نعني .

فقد اتضح أنَّ الإدراك الخيالي هو أيضاً بجسم . ومما يبيِّن ذلك أنَّنا نتخيل الصورة الخيالية ، كصورة الإنسان مثلاً ، أصغر أو أكبر ؛ ولا محالة أنها ترسم وهي أكبر ، وترسم وهي أصغر في شيء ، لا في مثل ذلك الشيء بعينه ، لأنها إن ارتسمت في مثل ذلك الشيء فالتفاوت في الصغر والكبر إما أن يكون بالقياس إلى المأخوذ عنه الصورة ، وإماً بالقياس إلى الأخذ ، وإماً بالقياس إلى الصورتين . وليس يجوز أن يكون بالقياس إلى المأخوذ عنه الصورة ، فكثير من الصور الخيالية غير مأخوذة عن شيء ألبتة ؛ ولا يجوز أن يكون بسبب الصورتين في أنفسهما ، فإنهما لما اتفقتا في الحد والماهية ، واختلفتا في الصغر والكبر ، فليس ذلك لنفسيهما ، فإذن ذلك بالقياس إلى الشيء القابل ، لأنَّ الصورة تارة ترسم في جزء منه أكبر ، وتارة في جزء منه أصغر . وأيضاً فإنه ليس يمكننا أن نتخيل السواد والبياض في شَبَحٍ خياليٍّ واحدٍ معاً ، ويمكننا ذلك في جزأين منه ؛ ولو كان الجزآن لا يتميزان في الوضع ، بل كان كلا الخياليين يرتسمان في شيء غير منقسم ، لكان لا يفترق الأمر بين

(٤) الإنسان : الناس س || أو أكبر : وأكبر س ، ح || وهي أكبر : ساقطة من س .

(٥) مثل : ساقطة من ه .

(٦) الصغر والكبر : الصغير والكبير ه .

(٧) وإما : وهما ه || بالقياس إلى : لنفس س ، ه .

(٨) مأخوذة : مأخوذ س .

(٩) الصغر والكبر : الصغير والكبير ه .

(١٠) لنفسيهما : لأقسامها س .

(١٣) لكان : لكان س .

المتعذر منهما والممكن . فإذاً الجزءان متميزان في الوضع . ولما علمتَ هذا في الخيال ، فقد علمتَ في الوهم أنّ الذي يدركه إنما يدركه متعلقاً بصور جزئية خيالية ، على ما أوضحناه قبل .

وقد يمكننا أن نزيد هذا القول شرحاً واستشهاداً ، إلا أنّنا نؤثر الاختصار ما أمكننا ، خصوصاً فيما يجري مجرى الرسائل .

(٢) أن الذي : الذي ما ، س ، هـ || أوضحناه : أوضحناه .

(٤) واستشهاداً : وإشهاداً ، س .

(٥،٤) وقد الرسائل : هذه العبارة ساقطة من النجاة .

الفصل الخامس

في أن إدراكها لا يكون بالآلة في حال

نقول : إن الجوهر الذي هو محل العقولات ليس بجسم ، ولا قائم بجسم ، على أنه قوة فيه ، أو صورة له بوجه . فإنه إن كان محل العقولات جسماً أو مقداراً من المقادير ، فإما أن يكون محل الصور فيه طرفاً منه لا ينقسم ، أو يكون إنما يحل منه شيئاً منقسماً . ولنتحقق أولاً أنه هل يمكن أن يكون طرفاً غير منقسم : فأقول . إن هذا محال ؛ وذلك لأن النقطة هي نهاية ما لا تميز لها في الوضع عن الخط أو المقدار الذي هو متصل به ، حتى ينتش فيه شيء من غير أن يكون في شيء من ذلك الخط . بل كما أن النقطة لا تنفرد بذاتها ، وإنما هي طرف ذاتي لما هو بالذات مقدار ، كذلك إنما يجوز أن يقال بوجه ما إنه يحل فيها طرف شيء حال في المقدار الذي هو طرفه متقدر به بالعرض ؛ وكما أنه يتقدر به بالعرض كذلك ينتهي بالعرض مع النقطة . ولو كانت النقطة منفردة تقبل شيئاً من الأشياء ، لكان يميز لها ذات ، فكانت النقطة حينئذ ذات جهتين ، جهة منها تلي الخط ، وجهة

(٢) بالآلة ح || في حال : ساقطة من س ؛ فصل في تفصيل الكلام على تجرد الجوهر الذي هو محل العقولات ه ؛ في أن المدرك للصور السككية لا يكون بالآلة بحال ه .

(٥) الصور : الصورة س .

(٧) لها : له س || أو به : والمقدار الذي هو منته إليها ه .

(٨) ينتش : يستقر ح .

(٩) مقدار : ساقطة من س || ما : ساقطة من س

(١٠) متقدر : فيتقدر س || وكما : فكما س .

(١١) مع : في س || منفردة : مفردة ه .

(١٢) فكانت : وكانت س || الخط : + الذي تميزت عنه ه .

منها مخالفة له مقابلة ، فتكون حينئذ منفصلة عن الخط ، وللخط نهاية غيرها تلاقيها ، فتكون تلك النقطة نهاية الخط لا هذه ، والكلام فيها وفي هذه النقطة واحد ، ويؤدي هذا إلى أن تكون النقط متشافةً في الخط ، إما متناهية وإما غير متناهية ؛ وهذا أمرٌ قد بان لنا في مواضع أخرى استحالته . فقد بان أن النقط لا تتركب بتشافعها ، وبان أيضاً أن النقطة لا يتميز لها وضع خاص . ونشير إلى طرف منها فنقول : إن النقطتين حينئذ اللتين تطبقان ٥ بنقطة واحدة من جنبتيها إما أن تكون هذه النقطة المتوسطة تحجز بينهما فلا تماسان ، فيلزم حينئذ في البديهية العقلية الأولية أن تكون كل واحدة منهما تختص بشيء من الوسطى تماسه ، فتنقسم حينئذ الواسطة ، وهذا محال . وإما أن تكون الوسطى لا تحجز المكتنفتين عن التماس ، حينئذ تكون الصورة المعقولة حالةً في جميع النقط ، وجميع النقط كنقطة واحدة . وقد وضعنا هذه النقطة الواحدة منفصلةً عن الخط ، فللخط من جهة ما ينفصل عنها طرفٌ غيرها بها ١٠ ينفصل عنها ، فتلك النقطة تكون مباينةً لهذه في الوضع ، وقد وضعت النقط كلها مشتركة في الوضع ، هذا خلف . فقد بطل أن يكون محلّ المقولات من الجسم شيئاً غير منقسم ، فبقي أن يكون محلها من الجسم - إن كان محلها جسماً - شيئاً منقسماً .

(١) له : لها - || مخالفة له : تخالف الذي تتميز به عنه وهي له ح .

(٢) هذه : هذا ه .

(٣) متشافة : متتابعة ح || أمر : الأمر ح .

(٤) فقد ... بتشافعها : ساقطة من س ، س .

(٤ ، ٥) وبان ... خاص : ساقطة من س ، ح ، س .

(٥) يتميز : يتم له .

(٦) جنبتيها : جنبتيه ح ، س || هذه : ساقطة من س .

(٩) وجميع النقط : ساقطة من ه .

(١١) مباينة : متباينة ح .

(١٢) بطل : + إذن ه || من الجسم : ساقطة من س ، ح ، ه .

(١٣) محلها : محله ح ، س || إن كان محلها جسماً : ساقطة من ح ، س .

(٦ - أحوال النفس)

فلنفرض صورةً معقولةً في شيء منقسم ، فإذا فرضناها في الشيء المنقسم انقساماً
عرض للصورة أن تنقسم ، فحينئذ لا يخلو إما أن يكون الجزآن متشابهين أو غير متشابهين .
فإن كانا متشابهين ، فكيف يجتمع منهما ما ليس هما ؟ إلا أن يكون ذلك الشيء شيئاً يحصل
فيهما من جهة المقدار أو الزيادة في العدد ، لا من جهة الصورة ، فتكون حينئذ الصورة
المعقولة شكلاً ما أو عدداً ما ، وليس كل صورة معقولةً بشكل ، وتصير حينئذ الصورة
خيالية لا عقلية . وأظهر من ذلك أنه ليس يمكن أن يقال إن كل واحدٍ من الجزأين هو
بعينه الكل في المعنى ، لأن الثاني إن كان غير داخلٍ في معنى الكل ، فيجب أن نضع
في الابتداء معنى الكل لهذا الواحد لا لكليهما ، وإن كان داخلًا في معناه . فمن البين
الواضح أن الواحد منهما وحده ليس يدل على نفس معنى التمام ، وإن كانا غير متشابهين .
فلننظر كيف يمكن أن يكون للصورة المعقولة أجزاء غير متشابهة ، فإنه ليس يمكن أن تكون
الأجزاء الغير المتشابهة إلا أجزاء الحد التي هي الأجناس والفصول . ويلزم من هذا محالات :
منها أن كل جزء من الجسم يقبل القسمة أيضاً بالقوة قبولاً غير متناه ، فيجب أن تكون
الأجناس والفصول بالقوة غير متناهية ؛ وقد صح أن الأجناس والفصول الذاتية للشيء
الواحد ليست في القوة غير متناهية . ولأنه ليس يمكن أن يكون توهم القسمة بقدر الجنس
والفصل ، بل مما لا شك فيه أنه إذا كان هناك جنس وفصل يستحقان تمييزاً في الحل ،

(١) فرضناها : فرضنا ع ، س .

(٤) من جهة المقدار : من جهة بالزيادة في المقدار س ، هـ .

(٨) لهذا : هو هـ || لكليهما : كليهما هـ .

(٩) نفس معنى : ساقطة من هـ ؛ معنى نفس ع ، س .

(١٢) بالقوة : في القوة س ، هـ || بالقوة قبولاً غير متناه : ساقطة من هـ .

(١٤) أن يكون : ساقطة من س .

(١٥) والفصل : + تمييزاً بينهما هـ .

أنَّ ذلك التمييز لا يتوقف على توهم القسمة ، فيجب أن تكون الأجناسُ والفصولُ أيضاً بالفعل غير متناهية ؛ وقد صحَّ أن الأجناسَ والفصولَ وأجزاء الحدِّ للشيء الواحد متناهيةٌ من كل وجه . ولو كانت غير متناهية بالفعل ها هنا ، لكانت توجب أن الجسم الواحد يُفصلُ بأجزاء غير متناهية .

وأيضاً لتكن القسمة وقعت من جهة ، وأفرزت من جانبٍ جنساً ، ومن جانبٍ فصلاً ، ٥
فهو غيرنا القسمة لكان يقع منها في جانبٍ نصفُ جنسٍ ونصفُ فصلٍ ؛ أو كان يتقلب [الجنس إلى مكان الفصل ، والفصل إلى مكان الجنس] فكان فرضنا الوهمي يدور مقام الجنس والفصل فيه . على أن ذلك أيضاً لا يُغنى ، فإنه يمكننا أن نوقع قسماً في قسم .

وأيضاً ليس كلُّ معقول يمكن أن يقسم إلى معقولات أبسط منه ، فإنَّ ها هنا معقولاتٍ هي أبسط المعقولات ، ومبادئٌ للتركيب في سائر المعقولات ، وليس لها أجناس ١٠
ولا فصول ، ولا هي منقسمة في الكم ، ولا هي منقسمة في المعنى . فإذاً ليس يمكن أن تكون الأجزاء المتوهمة فيه غير متشابهة ، وكل واحد منها هو غير معنى الكل ؛ وإنما يحصل الكل بالاجتماع . فإذا كان ليس يمكن أن تنقسم الصورة المعقولة ، ولا أن تحل

(١) على : إلى ع ، س .

(٢) وأجزاء الحد : واخذ ه .

(٣) ها هنا لكانت : لما كان يجوز أن يجتمع في الجسم اجتماعاً على هذه الصورة فإن ذلك له || أن : + يكون ه

(٤) يفصل : انفصل ع ، ه .

(٥) وقعت : وقع س || وأفرزت : فأفرزت ع ؛ وأفرد س ؛ فأفرز ه .

(٧) الجنس ... الجنس : زيادة في ه .

(٨) فيه : + وكان يغير كل واحد منهما إلى جهة ما بحسب إرادة من بدن خارج ه .

(١٠) للتركيب : + ليست ع .

(١٢) وكل : كل س ، س || هو غير : وهو في س .

(١٣) الكل : الكل س || فإذا : فإن س || الصورة المعقولة : صورة معقولة ع .

طرفاً من المقادير غير منقسم ، فبين أن محل المعقولات جوهرٌ ليس بجسم ، ولا أيضاً قوة في جسم ، فيلحقه ما يلحق الجسم من الانقسام ، ثم يتبعه سائر المحالات .

ولنا أن نبرهن على هذا برهان آخر، فنقول :

إن القوة العقلية هي التي تجرد المعقولات عن الكم المحدود والأين والوضع وسائر ما قيل ، فيجب أن ننظر في ذات هذه الصورة المجردة عن الوضع كيف هي مجردة عنه ، إما بالقياس إلى الشيء المأخوذ منه أو بالقياس إلى الشيء الآخذ ، أعني أن هذه الذات المعقولة متجردة عن الوضع في الوجود الخارجي ، أو في الوجود المتصور في الجوهر العاقل . ومحال أن تكون كذلك في الوجود الخارجي ، فبقي أن تكون إنما هي مفارقة للوضع والأين عند وجودها في العقل . فإذا وجدت في العقل ، لم تكن ذات وضع ، وبحيث تقع إليها ١٠ إشارة تجزئ ، أي انقسام أو شيء مما أشبه هذا المعنى ، فلا يمكن أن تكون في جسم .

وأيضاً إذا انطبعت الصورة الأحادية الغير المنقسمة ، التي هي لأشياء غير منقسمة في المعنى ، في مادة ذات جهات ، فلا يخلو إما أن تكون ولا شيء من أجزائها التي تُقرض

(١) منقسم : + ولا بد لها من قابل فينا له .

(٢) فيلحقه : فيلحقها ح || من : في س || المحالات : تضيف النجاة عنواناً في وسط السطر هو : برهان آخر في البحث المذكور .

(٤) المعقولات : العقلية س .

(٥) ما قيل : المعقولات ه || إما : ساقطة من ح ، س ؛ هل ذلك التجرد له .

(٦) أن : ساقطة من ح ، س ، ه .

(٧) متجردة : وكيف تتجرد ح ؛ تتجرد س ، ه || الجوهر : + وهو ح .

(٨) هي : هو س || مفارقة : مفارق ح ، س .

(٩) وجودها : وجوده ح ، س .

(١٠) أي : أو ح ، س ، ه .

(١٢) مادة : + منقسمة ه || تكون : لا تكون س || ولا : ساقطة من س .

فيها بحسب جهاتها نسبةً إلى الشيء المعقول ، الواحد الذات ، الغير المنقسم ، المتجرد عن المادة ، أو يكون ذلك لكل واحد من أجزائها التي تفرض ، أو يكون لبعضها دون بعض . فإن لم يكن ولا لشيء منها [نسبة] ، فليس ولا لكلها لا محالة نسبة ؛ وإن كان لبعضها نعية دون بعض ، فالبعض الذي لا نسبة له ليس هو من معناه في شيء ؛ وإن كان لكل جزء يفرض نسبة مآ ، فإما أن يكون لكل جزء يفرض [نسبة] إلى الذات بأسرها ، أو ه إلى جزء من الذات . فإن كان لكل جزء يفرض نسبةً إلى الذات بأسرها فليست الأجزاء إذن أجزاء المعنى المعقول ، بل كل واحد منها معقول في نفسه مفردٌ . وإن كان كل جزء له نسبة غير الأجزاء الأخرى إلى الذات ، فمعلوم أن الذات منقسمة في المعقول ، وقد وضعناها غير منقسمة ، هذا خلفٌ . وإن كان نسبة كل واحد إلى شيء من الذات غير ما إليه نسبة الآخر ، فالتقسام الذات أظهر .

١٠

ومن هذا يتبين أن الصور المنطبعة في المادة لا تكون إلا أشباحاً لأموال جزئية منقسمة ، ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة إلى جزء منها . وأيضاً فإن الشيء المتكثر أيضاً في

- (١) فيها : فيه ج ، س .
- (٢) ذلك : تلك ج ، س .
- (٣) لشيء : شيء س || نسبة : زيادة في هـ .
- (٤) نسبة : ساقطة من ج ، س ، هـ .
- (٥) نسبة ما : ساقطة من ج ، س || نسبة : زيادة في هـ (٦، ٥) أو . . . بأسرها : ساقطة من س .
- (٦) نسبة : ساقطة من هـ .
- (٧) المعنى : معنى ج ، س || بل : فـ لكل س || كل : لـ كل س || مفرد : + بل المعقول كما هو فيكون معقولا مرات لانهاية لها بالفعل في آن واحد هـ .
- (٨) الأجزاء : ساقطة من س ، س || المعقول : العقول س ؛ العقل هـ .
- (٩ ، ١٠) وإن . . . أظهر : ساقطة من ج ، س ، هـ .
- (١١) المادة : الحاسة س ، س .
- (١٢) أو بالقوة : وبالقوة س .

أجزاء الحد له من جهة التمام وحدةً هو بها لا ينقسم ، فتلك الوحدة - بما هي وحدة - كيف ترتسم في المنقسم ؟ وإلا فيعرض أيضاً ما قلناه في غير المتكثر أجزاء حده .

وأيضاً فإنه قد صحح لنا أن المعقولات المفروضة التي من شأن القوة الناطقة أن تعقل

بالفعل واحداً واحداً منها غير متناهية بالقوة ، ليس واحداً أولى من الآخر . وقد صحح لنا

أن الشيء الذي يقوى على أمور غير متناهية بالقوة لا يجوز أن يكون محله جسماً ، ولا قوةً

في جسم ؛ وقد برهن على هذا في السماع الطبيعي ؛ فلا يجوز إذن أن تكون الذات القابلة

للمعقولات قائمةً في جسم البتة ، ولا فعلها الكائن في جسم ، ولا بجسم .

وقد كان يمكننا أن نزيد هذا بسطاً ، لكننا اختصرنا على ما هو أقرب إلى الأفهام .

(١) فتلك : فذلك س || وحدة : + فيه ح .

(٢) ترتسم : + أيضاً ه || وإلا فيعرض : ساقطة من س || أيضاً : ساقطة من ه || قلناه : قلناه ، س .

(٣) قد : ساقطة من س || لنا : ساقطة من ه .

(٦) وقد : قد س ، س || القابلة : العاقلة س .

(٧) جسم : الجسم ح || فعلها الكائن : عقلها بكائن ه .

(٨) لكننا : لكن س .

الفصل السادس

في بيان أن النفس كيف تستعين بالبدن وكيف تستغني عنه بل يضرها

إن القوى الحيوانية تعين النفس الناطقة في أشياء ، منها أن يورد عليه الحس الجزئيات ،

فيحدث لها من الجزئيات أموراً أربعة :

- ٥ أحدها : انتزاع النفس الكلليات المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريدٍ لمعانيتها عن المادة ، وعن علائق المادة ولو احقها ، ومراعاة المشترك فيها والمتباين بها ، والذاتي وجوده والعرضي وجوده ، فيحدث للنفس من ذلك مبادئ التصور ، وذلك بمعاونة استعمالها للخيال والوهم .

والثاني : إيقاع النفس مناسبات بين هذه الكلليات المفردة على مثل سلب أو إيجاب .

- ١٠ فما كان التأليف فيها بسلب أو إيجاب ذاتياً يديماً بنفسه أخذته ، وما كان ليس كذلك تركته إلى مصادفة الواسطة .

(٢) في . . . يضرها : في أنها قد تحتاج إلى البدن وقد لا تحتاج ، هـ ؛ العنوان ساقط من س ؛

فصل في إعانة القوى الحيوانية للنفس الناطقة هـ .

(٣) الحس : + الحسيات س .

(٥) الكلليات : للكلليات ح .

(٦) فيها : فيه ح || بها : به ح .

(٧) وذلك بمعاونة : عن ح ، هـ || استعمالها : استعماله ح ، س ، هـ .

(٩) إيقاع : بإيقاع ح ، س || أو إيجاب : وإيجاب س ، س .

(١٠) فيها : ساقطة من س || ذاتياً : ساقطة من س ، س || أخذته : أخذه ح ، س ، هـ .

(١١) تركته : تركه ح ، س ، هـ .

والثالث : تحصيل المقدمات التجريبية ؛ وهو أن يؤخذ بالحس محمولاً لازم الحكم لموضوع لازم الإيجاب والسلب ، أو منافياً له ، وليس ذلك في بعض الأحيان دون بعض ، ولا على المساواة ، بل دائماً ، حتى تسكن النفسُ إلى أن طبيعة هذا المحمول أن تكون فيه هذه النسبة إلى هذا الموضوع . وأن طبيعة هذا التالي أن يلزم هذا المقدم أو ينافيه لذاته ، لا بالاتفاق ، فيكون ذلك اعتقاداً حاصلًا من حسٍ أو قياسٍ . أمّا الحسُّ فلاجل مشاهدة ذلك ؛ وأمّا القياس فلأنه لو كان اتفاقياً لما وجد دائماً أو في الأكثر . وهذا كالحكم مناً بأن السقمونيا مسهلٌ للصفراء بطبيعته ، لإحساسنا ذلك كثيراً ، أو بقياسنا أنه لو كان لا عن الطبع بل عن الاتفاق ، لوجد في بعض الأحيان .

والرابع : الأخبار التي يقع التصديق بها لشدة التواتر .

١٠ فالنفس الإنسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادئ للتصور والتصديق ؛ ثم إذا حصلت رجعَت إلى ذاتها . فإن عرض لها شيء من القوى التي دونها بأن تشغلها به ، شغلتها عن فعلها ، وأضرت بفعلها ، إلا في أمور تحتاج النفس فيها خاصةً بأن تعاود القوى الخيالية مرةً أخرى لاقتناص مبدأ غير الذي حصل ، أو معاونة بإحضار خيال . وهذا يقع في الابتداء

(٢) له : + أو تالياً موجب الاتصال أو مسلوبه أو موجب الغناد أو مسلوبه غير مناف له ه .

(٣) على : + سبيل ه || إلى أن : على أن س ؛ إلى أن يتبين أن من ه .

(٤) وأن طبيعة هذا التالي : والتالي س ، ح .

(٥) أو قياس : وقياس س ، س .

(٦) وجد : وجدته س || وهذا : ساقطة من ه .

(٧) بأن : أن س ، ح || بطبيعته : بطبعه ح ، س || لإحساسنا : لإحساسه ح || بقياسنا : بقياس ح .

(١٠) فالنفس : والنفس ح .

(١١) حصلتها : حصلتته ح ، س || ذاتها : ذاته ح ، س || فإن عرض : وإن يعرض ح ؛ فإن يعرض س

(١١ ، ١٢) بأن تشغلها به شغلتها عن فعلها وأضرت بفعلها : بأن تشغله به شغلة عن فعله وأضرت

بفعله ح ، س ؛ شاغلة لإياها بما يليها من الأحوال شغلتها عن فعلها وأضرت بفعلها ش .

كثيراً ، ولا يقع بعده إلا قليلاً .

وأما إذا استكملت النفس وقويت ، فإنها تنفرد بأفاعيلها على الإطلاق ، وتكون القوى الحسية والخيالية وسائر القوى البدنية صارفةً لها عن فعلها ؛ ومثال هذا أن الإنسان قد يحتاج إلى ذاته وآلاته ليتوصل بها إلى مقصدٍ ما ، فإذا وصل إليه ، ثم عرض من الأسباب ما يحوله عن مفارقتها ، صار السببُ الموصل بعينه عائقاً .

(١) بعده : عنده ع .

(٣) البدنية : + غير ع .

(٥) مفارقتها : مفارقتها س || عائقاً : مفارقاً ه .

الفصل السابع

في صحة استغناها عن البدن

أما البراهين التي أقنأها على أنّ محل العقولات ، أعنى النفس الناطقة ، ليست بجسم ، ولا هي قوة في جسم ، فقد كفتنا مؤونة الاستشهاد على صحة قيام النفس بذاتها مستغنية عن البدن ؛ إلا أنّنا نستشهد كذلك أيضاً من فعلها ، فنقول :

إنّ القوة العقلية لو كانت تعقل بالآلة الجسدانية حتى يكون فعلها إنما يستتم باستعمال تلك الآلة الجسدانية ، لكان يجب أن لا تعقل ذاتها وأن لا تعقل الآلة ، وأن لا تعقل أنها عقلت ؛ فإنه ليس بينها وبين ذاتها آلة ، وليس بينها وبين آلتها آلة ، ولا بينها وبين أنها عقلت آلة ؛ لكنها تعقل ذاتها ، وآلتها التي تدعى آلتها ، وتعقل أنها عقلت ، فإذا ن تعقل بذاتها لا بآلة .

وأيضاً لا يخلو إما أن يكون تعقلها آلتها لوجود ذات صورة آلتها ، إمّا تلك وإمّا أخرى مخالفة لها ، وهي صورتها أيضاً فيها وفي آلتها ، أو لوجود صورة أخرى غير صورة آلتها تلك فيها وفي آلتها . فإن كان لوجود صورة آلتها ، فصورة آلتها في آلتها ، وفيها

(٢) في . . . البدن : ساقطة من س ؛ الكلام في النجاة متصل بما سبق .

(٤ ، ٥) مؤونة . . . البدن : هذه المؤونة ح ، س ، هـ (٥) فعلها : + مرة ما س ؛ مرة هـ .

(٦) تعقل : ساقطة من س || يستتم : يستقيم س ؛ يتم مه (٦ ، ٧) يستتم باستعمال : يسيرها استعمال هـ .

(٨) وبين ذاتها : وبين تعقل ذاتها س .

(٩) وتعقل أنها : وأنها ح ، س .

(١٠) بآلة : بالآلة ح .

(١٣) كان : كانت ح ، س ، هـ .

بالشركة دائماً ، فيجب أن تعقل آلتها دائماً التي كانت تعقل لوصول الصورة إليها . وإن كان لوجود صورة غير تلك الصورة ، فإنّ المفارقة بين أشياء تدخل في حدٍّ واحدٍ ، إما لاختلاف المواد والأحوال والأعراض ، وإما لاختلاف ما بين الكلى والجزئى ، والمجرد عن المادة والموجود في المادة . وليس ها هنا اختلاف موادٍ وأعراض ، فإنّ المادة واحدة والأعراض واحدة . وليس ها هنا اختلاف التجريد والوجود في المادة ، فإنّ كليهما في المادة . وليس ها هنا اختلاف الخصوص والعموم ، لأنّ أحدهما إنما يستفيد الجزئية بسبب المادة الجزئية ، والواحق التي تلحقها من جهة المادة التي فيها ؛ وهذا المعنى لا يختص بأحدهما دون الآخر . وأما ذات النفس فإنها تُدرك دائماً وجودها لأشياء من الأجسام التي معها وفيها ، ولا يجوز أن يكون لوجود صورة أخرى معقولة غير صورة آلتها ، فإنّ هذا أشدُّ استحالةً ، لأنّ الصورة المعقولة إذا حلت الجوهر العاقل جعلته عاقلاً ، لما تلك الصورة صورته ، أو لما تلك الصورة مضافة إليه ، فتكون صورة المضاف داخلةً في هذه الصورة ، وهذه الصورة المعقولة ليست صورة هذه الآلة ، ولا أيضاً صورة شيء مضاف إليها بالذات ، لأنّ ذات هذه الآلة جوهر . ونحن إنما نأخذ ونعتبر صورة ذاته ، والجوهر في ذاته غير مضاف ألبته . فهذا برهان عظيم على أنه لا يجوز أن يُدرك المدرك آله هي آله في الإدراك . ولهذا كان الحسُّ إنما يحسُّ شيئاً خارجاً ، ولا يحسُّ ذاته ، ولا آله ، ولا إحساسه . وكذلك ١٥

(١) تعقل آلتها : تعقل آلتها ذاتها .

(٥) والأعراض واحدة : والعرض واحد ، س .

(٦) الجزئية : التجزئة هـ (٦ ، ٧) بسبب المادة الجزئية : ساقطة من س (٧) دون : غير س ؛ عن

س ، هـ ، هـ .

(٨) وأما . . . وفيها : ساقطة من س || وفيها : وبها ع .

(١٠) العاقل : العاقل س || لما : + في ع || أولاً : ولها هـ .

(١٤) برهان : + بين ع ، هـ || آله هي : لكن هو ع .

(١٥) كان : فإن هـ || ولا آله : + ولا إحساسه س ، س .

الخيال لا يتخيل ذاته ، ولا فعله ، ولا آله . بل إن تخيل آله تخيلها لا على نحوٍ يخصها بأنه لا محالة له دون غيره ، إلا أن يكون الحس يورد عليه صورة آله لو أمكن ، فيكون حينئذ إنما يحكى خيالا مأخوذاً من الحس غير مضافٍ عنده إلى شيء ، حتى لو لم يكن ألبتة كذلك لم يتخيله .

وأيضاً مما يشهد لنا بهذا ، ونقنع فيه ، أن القوى الدرّاية بانطباع الصور في الآلات يعرض لها من إدامة العمل أن تكل ، لأجل أن الآلات تكملها إدامة الحركة ، وتفسد مزاجها الذي هو جوهرها وطبيعتها . والأمور القوية الشاقة الإدراك توهنها ، وربما أفسدتها ، حتى لا تدرك ورائها الأضعف منها ، لانفاسها في الانفعال عن الشاق كما في الحس ، فإنّ الحسوسات الشاقة والمتكررة تضعفه ، وربما أفسدته ، كالضوء القوي للبصر ، والرعد الشديد للسمع . وعند إدراك القوى لا تقوى على إدراك الضعيف ، فإنّ المُبصر ضوءاً عظيماً ، لا يُبصر معه ولا عقبيه ضوءاً ضعيفاً ؛ والسامع صوتاً لا يسمع معه ولا عقبيه صوتاً ضعيفاً . ومن ذاق الحلاوة الشديدة لا يحس بعدها بالضعيفة .

والأمر في القوة العقلية بالعكس ، فإنّ إدامتها للتعقل ، وتصورها للأمر الأقوى ، يكسبها قوةً وسهولةً قبول لما بعدها مما هو أضعف منها ، فإنّ عرّض لها في بعض الأوقات

(١) تخيل : كان يتخيل ه || تخيلها : تخيله س || يخصها : يخصه ح .

(٢) بأنه : فإنه ح ، س || محالة : محل ح .

(٣) من : عن ه .

(٤) ونقنع : أو نقنع ح .

(٥) لأجل أن : لأجل س .

(٦) حتى : وحتى س ، ه .

(٧) والمتكررة : المتكررة س || القوى : الشديد س ؛ ساقطة من س ، ه .

(٨) ضوءاً ضعيفاً : نوراً ضعيفاً س || صوتاً : عظيماً ه || ولا عقبيه : وعقبيه س .

(٩) للتعقل : للعقل ح ؛ للفعل س || الأقوى : القوى ه || للأمر الأقوى : للأمور والقوى س .

(١٠) فإنّ عرض لها : وإن عرض له س .

ملالٌ وكلالٌ ، فذلك لاستعانة العقل بالخيال المستعمل للآلة التي تكلم هي ، فلا تخدم العقل .
ولو كان لغير هذا لكان يقع دائماً ، وفي أكثر الأحوال ، والأمر بالضد .

وأيضاً فإنَّ البدن تأخذ أجزاءه كلها تضعف قواها بعد منتهى النشوء والوقوف ، وذلك
دون الأربعين أو عند الأربعين . وهذه القوة إنما تقوى بعد ذلك في أكثر الأمر ؛ ولو
كانت من القوى البدنية لكان يجب دائماً وفي كل حال أن تضعف حينئذ . لكن ليس
يجب ذلك ، إلا في أحوالٍ وموافاة عوائق دون جميع الأحوال ، فليست إذن من القوى
البدنية .

ومن هذه الأشياء يتبين أنَّ كلَّ قوة تدرك بآلة ، فلا تدرك ذاتها ولا آلتها ولا
إدراكها ، ويضعفها تضاعف الفعل ، ولا تدرك الضعيف إثر القوى ، والقوى يوهنها ،
وعند ضعف الآلات يضعف فعلها . والقوة العقلية بخلاف ذلك كله .

وأما الذي يتوهم من أنَّ النفس تنسى [معقولاتها] ، ولا تفعل فعلها مع مرض
البدن ، وعند الشيخوخة ، وأنَّ ذلك لها بسبب أنَّ فعلها لا يتم إلا بالبدن ، فظنٌ غير

- (١) فلا : ولا س .
- (٢) وفي : في س ، س || والأمر : الأمر مه .
- (٣) البدن : + الواحد ه .
- (٤) القوى : القوة س || لكان : فكان ح .
- (٥) إلا . . . الأحوال : ساقطة من ح ، س ، ه .
- (٦) البدنية : في النجاة عنوان : سؤال وشرح شاف للجابة عنه .
- (٧) (٨ ، ١٠) ومن . . . كله : ساقطة من النجاة .
- (٨) ولا آلتها : ساقطة من س .
- (٩) تضاعف : تضعيف س .
- (١٠) وعند : عند ح || يضعف : لضعف ح || العقلية : العملية س || كله : كلية س .
- (١١) معقولاتها : زيادة في مه || تفعل : تعقل س ، ح .
- (١٢) وأن : فإن س ، ح .

ضرورى ولاحقاً . وذلك أنه بعد ما صحَّ لنا أنَّ النفس تعقل بذاتها يجب أن نطلب العلة في هذا . فإن كان يمكن أن يجتمع أن للنفس فعلاً بذاتها ، وأنها أيضاً تترك فعلها مع أمر البدن ولا تفعل من غير تناقض ، فليس لهذا الاعتراض اعتبار ؛ فنقول :

إنَّ النفس لها فعلان : فعلٌ لها بالقياس إلى البدن وهو السياسة ، وفعلٌ لها بالقياس إلى ذاتها وإلى مبادئها ، وهو التعقل ؛ وهما متعاندان متمانعان ، فإنها إذا اشتغلت بأحدهما انصرفت عن الآخر ، ويصعب عليها الجمع بين الأمرين . وشواغلها من جهة البدن الإحساس ، والتخيل ، والشهوات ، والغضب والخوف ، والغم والوجع .

وأنت تعلم هذا بأنك إذا أخذت تفكر في المعقول تعطل عليك كل شيء من هذه ، إلا أن تغلب أو تقسر النفس بالرجوع إلى جهتها .

وأنت تعلم أنَّ الحس يمنع النفس عن التعقل ، [فإنَّ النفس] إذا أكبَّت على الحسوس ، شغلت عن المعقول ، من غير أن يكون أصاب آلة العقل أو ذاتها آفةً بوجه . وتعلم أنَّ السبب في ذلك هو اشتغال النفس بفعلٍ دون فعلٍ ؛ فلهذا السبب ما تعطل أفعال العقل عند المرض . ولو كانت الصور المعقولة قد بطلت وفسدت لأجل الآلة ، لكان رجوع

(١) لنا : ساقطة من س .

(٢) هذا : + العارض المشكك به || فإن : فإنه ح || مع : من س .

(٤) النفس لها : النفس له س || فعل لها : فعل له س || وفعل لها : وفعل س .

(٥) ذاتها وإلى مبادئها : ذاته وإلى مبادئه ه || فإنها إذا اشتغلت : فإنه إذا اشتغل ح ، س ، ه .

(٦) انصرفت : انصرف ح ، س ، ه || عليها : عليه ح ، س ، ه || وشواغلها : وشواغله ح ، س ، ه .

(٧) والوجع : والوجع س .

(٨) بأنك : أنك ح || المعقول : معقول ح ، س || هذه : هذا ح .

(١٠) فان النفس : زيادة من ه .

(١١) شغلت عن المعقول : ساقطة من ح ، س ، ه .

(١٣) ولو : فلو ح || الصور : الصورة س .

الآلة إلى حالها يُحَوِّج إلى اكتساب من الرأس ؛ وليس الأمر كذلك ، فإنه قد تعود النفس عاقلةً لجميع ما عقلته بحاله . فقد كانت إذن كلها معها ، إلا أنها كانت مشغولة عنه . وليس اختلاف جهتي فعل النفس فقط يوجب في أفعالها التمانع ، بل تكثُرُ أفعالٍ جهةٍ واحدةٍ قد يوجب هذا بعينه ؛ فإنَّ الخوفَ يُغفلُ عن الوجع ، والشهوة تصد عن الغضب ، والغضب يصرف عن الخوف . والسببُ في جميع ذلك واحدٌ ، وهو انصراف النفس ٥ بالكيفية إلى أمرٍ واحدٍ . فإذا لم يفعل شيئاً فعلة عند اشتغاله بشيء أن لا يكون فاعلاً فعله إلا عند وجود ذلك الشيء .

ولنا أن تتوسع في بيان هذا الباب ، إلا أن بلوغ الكفاية بسبب الأزدباد إلى تكلف ما يُحتاج إليه .

وقد ظهر من أصولنا التي قررناها أنَّ النفس ليست منطبعةً في البدن ، ولا قائمةً به ١٠ فيجب أن يكون سبيلُ اختصاصها به سبيلَ مقتضى هيئةٍ فيها جزئية جاذبةٍ إلى الاشتغال بسياسة هذا البدن الجزئي ، على سبيلِ عنايةٍ ذاتيةٍ مختصةٍ به .

(١) الرأس : الرأس ع .

(٢) بحاله : بحالها س .

(٣) التمانع : التباين هاشم ع || تكثُرُ : يكون س .

(٤) قد : وقد ع || يغفل عن الوجع : يشغل عن الجوع ه .

(٦) اشتغاله : + بحاله س ، س .

(١٠) أصولنا : أحوالها ؛ أصوله ع || قررناها : قدرنا س || به : ساقطة من س .

(١١) الاشتغال : الاستعداد س .

الفصل الثامن

في أن حدوثها مع حدوث البدن

نقول : إنَّ الأنفس الإنسانية متفكّقة في النوع والمعنى ؛ فإنَّ وُجِدَتْ قبل البدن ، فإمّا أن تكون متكرّرة الذوات ، أو تكون ذاتاً واحدة . ومحالُّ أن تكون متكرّرة الذوات ، ومحالُّ أن تكون ذاتاً واحدة ، على ما تبين ، فمحالُّ أن تكون قد وُجِدَتْ قبل البدن . فنبداً ببيان استحالة تكرّرها بالعدد ، فنقول :

إنَّ مغايرة الأنفس - قبل الأبدان - بعضها لبعض ، إمّا أن يكون من جهة الماهية والصورة ، وإمّا أن يكون من جهة النسبة إلى العنصر ؛ والمادة متكرّرة بالأمكنة التي تشتمل كلِّ مادةٍ على جهة ، والأزمنة التي تختص بكل واحد منها في حدوثها في مادتها ، والعلل القاسمة لمادتها ؛ وليست مغايرة بالماهية والصورة ، لأنَّ صورتها واحدة . فإذن إنّما تتغير من جهة قابل الماهية ، أو المنسوب إليه الماهية بالاختصاص ، وهو البدن . وأما قبل البدن ، فالنفس مجرد ماهيةٍ فقط ، فليس يمكن أن تتغير نفسٌ نفساً بالعدد .

(٢) العنوان ساقط من س ؛ إثبات حدوث النفس ه .

(٣) الأنفس : النفس ح .

(٤) الذوات : الذات ه .

(٩) تشتمل : تشتمل ح ، س || حدوثها : حدوثه س ، ه || مادتها : مادته ح ، س ، ه .

(١٠) لمادتها : لمادته ح ، س ، ه || متغايرة : متغايرة ح .

(١١) الماهية : الماهيات س || وهو : وهذا هو ه .

والماهية لا تقبل اختلافاً ذاتياً ، وهذا مطلقٌ في كل شيء ، فإنَّ الأشياء التي ذواتها معاني فقط ، فتكثرُ نوعياتها إنما هو بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها ؛ وإذا كانت مجردةً أصلاً لم تنفرد بما قلنا ، فمحال أن يكون بينها معايرة وتكاثُر . فقد بطل أن تكون الأنفس قبل دخولها الأبدان متكثرةً الذات بالعدد .

- وأقول : لا يجوز أن تكون واحدة الذات بالعدد لأنه إذا حصل بدنان ، حصل في ^٥ البدنين نفسان ؛ فإمّا أن يكونا قسماً تلك النفس الواحدة ، فيكون الشيء الواحد الذي ليس له عظم وحجم منقسماً بالقوة ، وهذا ظاهرُ البطلان بالأصول المقررة في الطبيعيات ؛ وإمّا أن تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين ، وهذا لا يحتاج إلى كثير تكلفٍ في إبطاله .
- فقد صحَّ إذن أن النفس تحدث كلما يحدث البدن الصالح لاستعمالها إياه ، ويكون البدن الحادث مملكتها وآلتها ، ويكون في جوهر النفس الحادثة مع بدن ما . ذلك البدن ^{١٠} استحقته بنزاع طبيعي إلى الاشتغال به ، واستعماله ، والاهتمام بأحواله ، والانجذاب إليه ،

-
- (١) والماهية لا : وأما ماهيته واحدة فلاح ؛ وأما ماهيته لا س || والماهية ... ذاتياً : ساقطة من ه || معان : تنفاير ح .
- (٢) فقط : ساقطة من س ، س || فتكثر : فتكون س || أصلاً : ساقطة من ه (٢ ، ٣) أصلاً ... قلنا : ساقطة من ح ، س .
- (٤) الذات : الذوات س .
- (٥) لا : ولا ه || بدنان حصل : بدنان حصلت س .
- (٦) الواحدة : ساقطة من س ، ح .
- (٧) المقررة : المقررة س .
- (٨) النفس الواحدة : الأنفس واحدة ه || الواحدة : واحدة ح ، س || يحتاج : + أصلاً ه .
- (٩) إياه : + أو لاستعماله لها ح .
- (١٠) مملكتها وآلتها : مملكته وآلته ح ، س .
- (١١) استحقته بنزاع طبيعي : الذي استحق حدوثها من المبادئ الأولية نزاع طبيعي س ، ه .
- (٧ - أحوال النفس)

يخصه ويصرفه عن كل الاجسام غيره . فلا بد أنها إذا وجدت متشخصةً فإنّ مبدأ تشخصها يلحق بها من الهيئات ما تتعيّنُ به شخصاً ؛ وهذه الهيئات تكون مقتضية لاختصاصها بذلك البدن ومناسبة لصلاح أحدهما للآخر [وإن خفي علينا تلك الحال وتلك المناسبة] وتكون مبادئ الاستكمال متوقفاً لها بوساطته ، وهو بدنها بالطبع لا بوساطته .

وَأما بعد مفارقة البدن فإنّ الأنفس تكون قد وجدت كل واحدة منها ذاتاً منفردة باختلاف موادها التي كانت ، وباختلاف أزمنة حدوثها ، واختلاف هيئاتها التي لها بحسب أبدانها المختلفة لا محالة بأحوالها .

(١ ، ٤) فلا بد ... بوساطته : ساقطة من ح ، س (٣) وإن خفي علينا تلك الحال وتلك المناسبة : زيادة من هـ

(٥) واحدة : واحد ، س .

(٦) لها : بها .

الفصل السابع

في بقاياها

أما أنها لا تموت بموت البدن ، فلأن كل شيء يفسد بفساد شيء آخر ، فهو متعلق به نوعاً من التعلق ؛ وكل متعلق بشيء آخر نوعاً من التعلق ، فإما أن يكون تعلقه به تعلق المكافئ في الوجود ، وإما أن يكون تعلقه به تعلق المتأخر عنه في الوجود ، وإما أن يكون تعلقه به تعلق المتقدم له في الوجود الذي هو قبله بالذات لا بالزمان .

فإن كان تعلق النفس بالبدن تعلق المكافئ في الوجود ، وذلك أمر ذاتي له لا عارض ، وكل واحد منهما مضاف الذات إلى صاحبه ، فليس لا النفس ولا البدن بجوهر ، لكنهما جوهران ؛ وإن كان ذلك أمراً عرضياً لا ذاتياً ، فإذا فسد أحدهما بطل العارض الآخر من الإضافة ، ولم تفسد الذات بفساده .

١٠

وإن كان تعلقه به تعلق المتأخر عنه في الوجود ، فالبدن علة للنفس في الوجود ؛ والعلل أربع : فإما أن يكون البدن علة فاعلية للنفس معطية لها الوجود ، وإما أن يكون علة

(٤) وكل ... التعلق : ساقطة من ه .

(٦) بالذات لا بالزمان : في الذات لا في الزمان ح ، س .

(٧) له : ساقطة من س .

(٨) وكل : فكل س .

(٩) وإن : وإذا س || فإذا : فإت ح ، س .

(١١) للنفس : النفس س .

(١٢) البدن : ساقطة من س || فيما ... الوجود : ساقطة من ه .

قابلية لها بسبيل التركيب كالعناصر للأبدان ، أو بسبيل البساطة كالنحاس للصنم ؛ وإما أن يكون علةً صوريةً ؛ وإما أن يكون علةً كالية . ومحال أن يكون علةً فاعلية ، فإنَّ الجسم - بما هو جسم - لا يفعل شيئاً ، وإنما يفعل بقواه ؛ ولو كان يفعل بذاته لا بقواه ، لكان كلُّ جسمٍ يفعل ذلك الفعل . ثم القوى الجسائية كلها إمَّا أعراضٌ ، وإمَّا صورٌ مادية ، ومحالٌ أن تفيد الأعراض أو الصور القائمة بالمواد وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادة ، ووجودٌ جوهرٍ مطلق ؛ ومحالٌ أيضاً أن تكون علةً قابلية .

فقد بيَّنا وبرهنا أنَّ النفس ليست منطبعة في البدن بوجه من الوجوه ، فلا يكون إذن البدن متصوراً بصورة النفس لا بحسب البساطة ولا على [سبيل] التركيب ، بأن يكون جزءاً من أجزاء النفس يتركب ويتمزج تركيباً ممَّا ومزاجاً ممَّا ، فتنتطبع فيه النفس .

ومحالٌ أن يكون علةً صوريةً للنفس ، أو كاليةً ؛ فإنَّ الأولى أن يكون الأمر بالعكس . فإذا نـ تعلق النفس بالبدن تعلق معلولٍ بعلةٍ ذاتية . نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس ، فإنه إذا حدث بدنٌ يصلح أن يكون آلة النفس ، ومملكةً لها ، أحدثت العلةُ المفارقة النفسَ الجزئية ، أو حدثت عنها تلك ، فإنَّ إحداثها بلا سببٍ يخصص إحداث واحدٍ دون واحدٍ ، ويمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ، لما قد بيناه . ولأنه لا بد لكلِّ كائنٍ بعد أن لم يكن من أن تتقدمه مادةٌ يكون فيها تهيؤٌ قبله ، أو تهيؤٌ نسبته

(٣) بما : لا ع || بنواه : بقوته ع .

(٤) الفعل : ساقطة من ه .

(٧) فقد بينا وبرهنا : فقد برهنا على استحالة هذا وبيننا س .

(٨) بصورة : تصور س || سبيل : زيادة من ه .

(٩) النفس : البدن ه || يتركب ... النفس : فتحدث النفس ع ، س .

(١٢) بدن : البدن ه || لها : له ع ، س ، ه .

(١٣) النفس : للنفس ع ، س || حدثت عنها تلك : حدث عنها ذلك ه .

(١٥) بعد أن : بعد ما ع || نسبته للنسبة س .

إليه ، كما تبين في العلوم الأخرى . ولأنه لو كان يجوز أيضاً أن تكون نفسٌ جزئية تحدث ، ولم يحدث لها آلةٌ بها تستكمل وتفعل ، لكانت معطلةً الوجود ؛ ولا شيء معطلٌ في الطبيعة . ولكن إذا حدث التهيؤ للنسبة والاستعداد للآلة ، يلزم حينئذ أن يحدث من العلل المفارقة شيء هو النفس . وليس إذا وجب حدوث شيء من حدوث شيء ، وجب أن يبطل مع بطلانه ؛ إنما يكون ذلك إذا كانت ذات الشيء قائمةً بذلك الشيء وفيه .

وقد تحدث أمورٌ عن أمور ، وتبطل تلك الأمور ، وتبقى تلك الأمور إذا كانت ذواتها غير قائمةٍ فيها ، وخصوصاً إذا كان مفيد الوجود لها شيء آخر غير الذي إنما هيأه أفاده وجودها مع وجوده . ومفيد وجود النفس شيء غير جسم ، كما بينا ، ولا قوة في جسم ، بل هو لا بحالة جوهرياً أيضاً غير جسم . فإذا كان وجوده من ذلك الشيء ومن البدن يحصل وقت استحقاقه للوجود فقط ، فليس له تعلقٌ في نفس الوجود بالبدن ، ولا البدن علةٌ له إلا بالعرض ، فلا يجوز إذن أن يُقال إن التعلق بينهما على نحوٍ يوجب أن يكون الجسم متقدماً تقدم العلية بالذات على النفس .

وأما القسم الثالث مما ذكرنا في الابتداء ، وهو أن يكون تعلق النفس بالجسم تعلقاً المتقدم في الوجود ، فإما أن يكون التقدم مع ذلك زمانياً ، فيستحيل أن يتعلق

(١) الأخرى : الأخروية ح ؛ الآخر ه || ولأنه : ولأنها ح .

(٤) وجب : ساقطة من س .

(٥) مع بطلانه : يبطلانه س || كانت : كان ه .

(٦) عن : غير ح || ذواتها : ذاتها ح ، س .

(٧) إنما : إنما ح || وجودها : وجوده س ، ه .

(٨) ولا قوة : ولا هي قوة ح .

(٩) أيضاً : آخر س .

(١١ ، ١٢) متقدماً تقدم العلية بالذات : متقدم الذات س (١٣) العلية بالذات : الذات ح .

(١٣) كنا : ساقطة من س .

(١٤) المتقدم : المقدم ه || أن يتعلق : عليه تعلق ه .

وجوده به ، وقد تقدمه في الزمان ؛ وإما أن يكون التقدم في الذات لا في الزمان ، لأنه في الزمان لا يفارقه . وهذا النحو من التقدم هو أن تكون الذات المتقدمة كلما توجد يلزم أن يُستفاد عنها ذات المتأخر في الوجود ، وحينئذ لا يوجد أيضا هذا المتقدم في الوجود ، إذا فرض التأخر قد عُدِم ، لا أن فرضَ عدم التأخر أوجب عدمَ المتقدم ، ولكن لأنَّ المتأخر لا يجوز أن يكون عُدِم إلا وقد عرض أولا بالطبع للمتقدم ما أعدمه ، فحينئذ عدم المتأخر .

فليس فرضُ عدم التأخر يوجب عدم المتقدم ؛ ولكن فرض عدم المتقدم نفسه ، لأنه إنما افترض التأخر معدوما ، بعد أن عرض للمتقدم أن عُدِم في نفسه . وإذا كان كذلك فيجب أن يكون السبب المتقدم يعرض في جوهر النفس فيفسد معه البدن ، وأن لا يكون البدن ألبته يفسد بسببٍ يخصه ، لكن فساد البدن يكون بسببٍ يخصه من تغير المزاج أو التركيب . فباطل أن تكون النفس تتعلق بالبدن تعلق المتقدم بالذات ، ثم يفسد البدن ألبته بسبب في نفسه . فليس إذن بينهما هذا التعلق .

فإذا كان الأمر على هذا ، فقد بطل أنحاء التعلق كلها ، وبقي أن لا تعلق للنفس في الوجود بالبدن ، بل تعلقه في الوجود بالمبادئ الأخر التي لا تستحيل ولا تبطل .

(٢) التقدم : التقدم ح || كلما : كما ح ، س || يلزم : + غير ح .

(٣) وحينئذ : فحينئذ ح || أيضاً : ساقطة من س || المتقدم : التقدم س .

(٤) عدم المتقدم : عدم هذا المتقدم س] .

(٥) عدم : عدما ح .

(٦) نفسه : بنفسه س .

(٨) المتقدم : المعدم : س ، س ؛ المقدم ه .

(٩) يكون : ساقطة من ح ، س ، ه .

(١٠) يفسد : + المزاج ح .

(١١) بسبب في نفسه : ساقطة من ح ، س .

(١٢) فإذا : وإذا ح ، س || بطل : بطلت س .

وأقول أيضا : إنَّ شيئاً آخر لا يعدم النفس ألبتة ؛ وذلك أنَّ كلَّ شيء من شأنه أن يفسد بسببٍ ما فيه قوةٌ أن يفسد ، وقبل الفساد ففيه فعلٌ أن يبقى . ومحالٌ أن يكون من جهةٍ واحدةٍ وفي شيء واحد قوةٌ أن يفسد وفعلٌ أن يبقى ، بل تهيؤه للفساد ليس بفعله أن يبقى ؛ فإنَّ معنى القوة مغايرٌ لمعنى الفعل ، وإضافة هذه القوة مغايرةٌ لإضافة هذا الفعل ، لأنَّ إضافة ذلك إلى الفساد ، وإضافة هذا إلى البقاء ؛ فإذاً لأمرين مختلفين في الشيء يوجد هذان المعنيان ، فنقول : إنَّ الأشياء المركبة والأشياء البسيطة التي هي قائمة في المركبة ، يجوز أن يجتمع فيها فعلٌ أن يبقى ، وقوةٌ أن يفسد ؛ وفي الأشياء البسيطة المفارقة للذات ، فلا يجوز أن يجتمع هذان الأمران .

وأقول بوجه مطلق : إنه لا يجوز أن يجتمع في شيء أحدىِّ الذات هذان المعنيان ؛ وذلك لأنَّ كلَّ شيء يبقى وله قوةٌ أن يفسد ، فله أيضاً قوةٌ أن يبقى ، لأن بقاءه ليس بواجبٍ ضروري . وإذا لم يكن واجبا كان ممكنا ؛ والإمكان هو طبيعة القوة ؛ فإذاً يكون له في جوهره قوةٌ أن يبقى ، وفعلٌ أن يبقى لا محالة ليس هو قوةٌ أن يبقى منه ؛ وهذا بينٌ . فيكون إذن فعلٌ أن يبقى منه أمراً يعرض للشيء الذي له قوةٌ أن يبقى منه . فتلك القوة لا تكون لذات ما بالفعل ، بل للشيء الذي يعرض لذاته أن يبقى بالفعل ، لا بوجود ذاته ،

(١) شيئاً : سبباً ، س .

(٢) ففيه : فيه ، س .

(٣) واحدة : ساقطة من س .

(٤) بفعله : لفعله ، س || فإن : فإذاً ح .

(٩) وأقول : فأقول ح .

(١٠) فله : وله ح .

(١٣) أمراً : أمراً ، ح .

(١٤) لذاته : له ، ح ، س .

فيلزم من هذا أن تكون ذاته مركبة من شيء إذا [وجد له] كان به ذاته موجودا بالفعل ، وهو الصورة في كل شيء ، وعن شيء حصل له هذا الفعل ، وفي طباعه قوته ، وهو مادته . فإن كانت النفس بسيطةً مطلقةً لم تنقسم إلى مادة وصورة ، وإن كانت مركبةً ، فلنترك المركب ولننظر في الجوهر الذي هو مادته ، ولنصرف القول إلى نفس مادته ، ولنتكلم فيها ، فنقول :

إن تلك المادة إما أن تنقسم هكذا دائماً ، ويثبت الكلام دائماً ، وهذا محالٌ . وإما أن لا يبطل الشيء الذي هو الجوهر والسنخ ، وكلامنا في هذا الشيء الذي هو السنخ والأصل ، لا في شيء مجتمع منه ومن شيء آخر . فبيّن أن كل شيء هو بسيطٌ غير مركب أو هو أصل مركب وسنخه ، فهو غير مجتمع فيه فعل أن يبقى وقوة أن يفسد بالقياس إلى ذاته . فإن كانت فيه قوة أن يفسد ، فمحال أن يكون فيه فعل أن يبقى ، وإذا كان فيه فعل أن يبقى وأن يوجد ، فليس فيه قوة أن يعدم . فبيّن إذن أن جوهر النفس ليس فيه قوة أن يفسد .

وأما الكائنات التي تفسد ، فإن الفاسد منها هو المركب المجتمع ؛ وقوة أن يفسد وأن يبقى ليس في المعنى الذي به المركب واحدٌ ، بل في المادة التي هي بالقوة قابلةٌ كلا الضدين ؛

(١) وجد له : زيادة في به || موجوداً : موجودة ح .

(٣) وصورة : + فلم تقبل الفساد به .

(٥) فنقول : ونقول س ، س .

(٧) الشيء الذي هو : ساقطة من س .

(٨) مجتمع : يجمع ح .

(٩) يفسد : يعدم ح || فإن : فإذا ح .

(١٠) يفسد : يعدم س ، ح .

(١٣) وأن : وقوة أن س .

(١٤) هي : مادة س .

فليس إذن في الفاسد المركب لا قوة أن يبقى، ولا قوة أن يفسد، فلم يجتمعا فيه .
وأما المادة فإمّا أن تكون باقية لا بقوة تستعد بها للبقاء، كما ظن قوم^٢؛ وإمّا أن
تكون باقيةً بقوة بها تبقى، وليس لها قوة أن تفسد، بل قوة أن تفسد شيء آخر فيها يحدث .
والبسائط التي في المادة فإنّ قوة فسادها هو في المادة لا في جوهرها . والبرهان الذي يوجب
أنّ كلّ كائنٍ فاسدٍ من جهة تنامي قوتى البقاء والبطلان، إنما يوجب فيما كونه من مادة هـ
وصورة؛ ويكون في المادة قوة أن تبقى فيه هذه الصورة، وقوة أن تفسد هي فيه معاً . فقد
بان إذن أنّ النفس ألبتة لا تفسد .
وإلى هذا سقنا كلامنا؛ والله الموفق .

(٢) ظن : يظن ح .

(٤) في المادة : للمادة س ، س .

(٥) كائن : ساقطة من هـ || تنامي : التنامي س || قوتى : قوة ح .

(٦) أت تبقى : وأن تبقى س || فقد : قد س .

(٨) والله الموفق : ساقطة من س ، هـ .

الفصل العاشر

في إبطال التناسخ

قد أوضحنا أنّ النفسَ إنما حدثت وتكثرت مع تهيؤ الأبدان ؛ على أنّ تهيؤ الأبدان
يوجب أن يفيض وجود النفس لها من العلل المفارقة لها، وظهر من ذلك أنّ هذا يكون لا على
سبيل الاتفاق والبخت ، حتى يكون ليس وجود النفس الحادثة لاستحقاق هذا المزاج
نفساً مدبرةً حادثةً ، ولكن كأن يوجد نفسٌ واتفق أن يكون وجد معها بدنٌ ، فينبذ
لا يكون للتكررة ذاتية البتة ، بل عرضية . وقد عرفنا أنّ العلل الذاتية هي أولاً ، ثم
العرضية . فإذا كان كذلك فكل بدن يستحق مع حدوث مزاجه حدوث نفس له ، وليس
بدنٌ يستحقه وبدنٌ لا يستحقه ، إذ أشخاص الأنواع لا تختلف في الأمور التي بها تقوم .
١٠ فإذا فرضنا أنّ نفساً تناسختها أبدانٌ ، وكل بدن فإنه بذاته يستحق نفساً تحدث له ، وتعلق
به ، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً . ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هي على سبيل
الانطباع فيه - كما قلنا - بل علاقة الاشتغال به حتى تشعر النفسُ بذلك البدن ، وينفعل

(٢) في إبطال التناسخ : ساقط من س .

(٣) النفس : الأنفس س ، هـ || وتكثرت : وتكونت س .

(٤) يوجب : موجب ح ، س || يفيض : يقتضى س ، هـ || لها : بها س || أن : بأن هـ .

(٦) مدبرة : تدبره س || يكون وجد معها : وجد معه س ، س ، هـ .

(٧) الذاتية : ساقطة من س .

(٨) فإذا : وإذا س .

(٩) يستحقه : ساقطة من ح ، هـ .

(١١) البدن : للبدن ح || فيه : ساقطة من ح || هي : هو ح ، س .

البدنُ عن تلك النفسِ وكلُّ حيوانٍ فإنه يستشعر نفسه نفساً واحدة هي المصرفة والمدبرة . فإن كان هناك نفسٌ أخرى لا يشعر الحيوان بها ، ولا هي بنفسها ، ولا تشتغل بالبدن ، فليس لها علاقة مع البدن ، لأنَّ العلاقة لم تكن إلا بهذا النحو ، فلا يكون تناسخٌ بوجه من الوجوه .

وبهذا المقدار لمن أراد الاختصار كفاية ، بعد أن فيه كلاماً طويلاً ؛ والله أعلم .

- (١) المصرفة : المنصرفه س ، هـ .
- (٢) والمدبرة : والمدبره ح || ولا هي بنفسها : فلا هو نفسه ح ؛ ولا هو بنفسه س .
- (٣) لها : له س .
- (٤) والله أعلم : ساقطة من س ، س ، هـ .

الفصل الحادى عشر

فى أن جمىع قواها النفس واحدة

قد ظهر من المباحث النفسانية التى آثرنا أن لا نطوّل بها الرسالة أن القوى النفسانية كلها عن مبداء واحد فى البدن . وهذا الرأى مخالف من الفيلسوف لرأى الإلهى أفلاطون ؛ وفيه موضع شك ، وهو أننا نجد القوى النباتية تكون فى النبات ولا نفس حساسة ولا نفس ناطقة ؛ ويكونان معاً فى الحيوان ، ولا نفس ناطقة . فإذن كل واحدة منها قوة أخرى غير متعلقة بالآخر . والذي يجب أن يُعرف حتى يفحل به هذا الشك ، أن الأجسام العنصرية يمنعها صرفية التضاد عن قبول الحياة . وكلما أمعنت فى هدم صرف التضاد ، وردّته إلى التوسط الذى لا ضده ، جعلت تقرب إلى شبه الأجسام السماوية ، فتستحق

(٢) فى . . . واحدة : فى أن جمىع أنواع النفس واحدة ح ؛ العنوان ساقط من س ؛ فصل فى وحدة النفس ه .

(٣) قد : وقد س || ظهر : يظهر ح ، ه || من : فى س ، ه || بها : لها س .

(٤) عن : من س ، ح .

(٥) شك : + وهو أن هذا الفصل من كتاب النجاة بين الفصل العاشر والحادى عشر من هذه الرسالة . تقول إن النفس ذات واحدة ولها قوى كثيرة [ثم نقلت مخطوطة س الموجود فى النجاة من س ٣١٠ إلى س ٣١٣] س .

(٦) ويكونان . . . ناطقة : ساقطة من ح ، س ، ه || كل واحدة منها : لكل واحد منها ح ؛ كل واحد منهما س .

(٧) يجب : + علينا ه || هذا الشك : ساقطة من س .

(٨) وكلما : فكلمها ح ، س .

(٩) تقرب : تصرف س ، ح .

بذلك القدر لقبول قوى محيية من الجوهر المفارق المدبر . ثم إذا ازدادت قربا من التوسط
ازدادت قبول حياة ، حتى تبلغ الغاية التي لا يمكن أن يكون أقرب منها إلى التوسط ،
وأهدمَ الطرفين المتضادين ، فتقبل جوهرًا مقارب الشبه من وجهٍ مَّا للجوهر المفارق ، كما
قبلته الجواهر الساوية ، فيكون حينئذ ما كان يحدث فيه قبل وجوده ، يحدث فيه منه ومن
هذا الجوهر .

ومثال هذا في الطبيعيات أن تتوهم مكانَ الجوهر المفارق ناراً ، بل شمساً ، ومكانَ
البدن جِرمًا يتأثر عن النار ؛ وليكن كوةً مآً ، وليكن مكان النفس النباتية تسخينها
إياه ، ومكان النفس الحيوانية إنارتها له ، ومكان النفس الإنسانية إشعالها فيه ناراً . فنقول:
إنَّ ذلك الجرم المتأثر كالكوة ، إن كان ليس وضعه من ذلك المؤثر فيه وضعاً يقبل
إضاءته ، وإنارتها ، ويشتمل شيء فيه عنه ، ولكنه وضعاً يقبل تسخينه ، لم يقبل غير ذلك . ١٠
فإن كان وضعه وضعاً يقبل تسخينه ، ومع ذلك فهو مكشوف له ، أو مستشف ، أو على
نسبة إليه يستنير عنه استنارةً قوية ، فإنه يسخن عنه ويستضيء مآً ، فيكون الضوء الواقع
فيه منه هو مبدأ أيضاً مع ذلك المفارق لتسخينه ؛ فإنَّ الشمس إنما تُسخنُ بالشعاع . ثم إنَّ

(١) لقبول : وقبول ح .

(٣) مقارب : مفارق س .

(٤) قبلته الجواهر : للجواهر ح .

(٦) ومثال : مثال ح || في : ساقطة من ه || أن تتوهم : لتتوهم ح ، س .

(٧) كوة : ككوة س ؛ كوما له .

(٨) إياه : إياها ح || له : فيها س ، ه ؛ منها ح || إشعالها : اشتعالها س || فيه : منها ه .

(٩) الجرم : الجسم س || كالكوة : في الكوة ح .

(١٠) فيه : منه س || ولكنه : ولكن ح . س ، ه .

(١١) فإن : وإن س || ومع : وهو مع ه || فهو : ساقطة من ه (١١ ، ١٢) أو على نسبة :

بنسبة ح (١٢) فيكون : ويكون ح ، س ه .

(١٣) فيه : عنه س || لتسخينه : تسخينه ح ؛ وتسخينه س || بالشعاع : بالشعاع س .

كان الاستعداد أشدّ ، وهناك ما من شأنه أن يشتعل عن المؤثر الذي من شأنه أن يحرق بقوته أو شعاعه ، اشتعل فأحدثت الشعلة جِرمًا شبيهاً بالمفارق من وجهه . ثم تلك الشعلة أيضاً تكون مع المفارق علةً للتنوير والتسخين معاً . ومع هذا فقد كان يمكن أن يوجد التسخين وحده ، أو التسخين والتنوير وحدهما ، وليس المتأخر عنهما مبدأ يفيض عنه المتقدم ، وكان إذا اجتمعت الجملة يصير حينئذ كل ما فرض متأخراً مبدأً أيضاً للمتقدم ، وفائضاً عنه المتقدم .

فمكذا فليتصور في القوى النفسانية ؛ والله الموفق .

(٢) أو شعاعه : وشعاعه ه || فأحدثت : حدثت س .

(٣) معاً : + ولو بقيت وحدها لاستمر التسخين والتنويرة

(٤) يفيض : يقتضى ح ، ه .

(٥) اجتمعت : جمعت ح ، س .

(٧) والله الموفق : ساقطة من ح ؛ والله الهادي س .

الفصل الثاني عشر

في خروج العقل لتطرى إلى الفعل

قد صح لنا أنّ وجود النفس مع البدن ، وليس حدوثها عن جسم ، بل عن جوهر هو صورة غير جسمية ، فنقول :

- إنّ القوة النظرية فيه أيضا تخرج من القوة إلى الفعل بإنارة جوهر هذا شأنه عليه ؛ وذلك لأنّ الشيء لا يخرج من ذاته إلى الفعل إلا بشيء يُفَيِّده الفعل ؛ وهذا الفعل الذي يفيد هو صور العقولات . فإذا هاهنا شيء يفيد النفس ، ويطبع فيها من جوهره صور العقولات ، فذات هذا الشيء لا محالة عنده صور العقولات ، وهذا الشيء إذن بذاته عقل . ولو كان بالقوة عقلا ، لامتد الأمر إلى غير نهاية ، وهذا محال ؛ أو وقف عند شيء هو بجوهره عقل ، وكان هو السبب لكل ما هو بالقوة عقل في أن يصير بالفعل عقلا ، فكان يكفي وحده سبباً لإخراج العقول من القوة إلى الفعل وهذا الشيء يسمى بالقياس إلى العقول التي بالقوة ، وتخرج منه إلى الفعل ، عقلاً فعلاً ، كما يسمى العقل الهولاني بالقياس إليه عقلا منفعلا ، ويسمى العقل الكائن فيما بينهما عقلا مستفادا .

(٢) في . . . الفعل : ساقطة من س ؛ فصل في الاستدلال بأحوال النفس الناطقة على وجود العقل الفعال وشرحه بوجه ما له .

(٦) يفيد : يفيد ح .

(٧) فيها : فيه س || جوهره : جوهر س ، ح .

(٨) فذات . . . العقولات : ساقطة من س .

(٩) لامتد : لا تبدأ ح || الأمر : + فيه ه .

(١٠) لكل ما : لا ه || فكان : وكان س || يكفي : ساقطة من ه .

(١٢ ، ١٣) العقل . . . منفعلا : ساقطة من س .

ونسبة هذا الشيء إلى أنفسنا ، التي هي بالقوة عقل ، وإلى المعقولات التي هي بالقوة
 معقولات ، نسبة الشمس إلى أبصارنا التي هي بالقوة رائية ، وإلى الألوان التي هي بالقوة
 مرئية ، فإنها إذا اتصل أثرها بالمرئيات بالقوة ، وذلك الأثر هو الشعاع ، عادت مرئيات
 بالفعل ، وعاد البصر رائيا بالفعل . فكذلك هذا العقل الفعال تفيض منه قوة تسيح إلى
 الأشياء المتخيلة ، التي هي بالقوة معقولة ، فتجعلها معقولة بالفعل ، وتجعل العقل بالقوة
 عقلا بالفعل . وكما أن الشمس بذاتها مبصرة ، وسبب لإبصارنا سائر ما نبصر ، فكذلك
 هذا الجوهر هو بذاته معقول ، وسبب لأن يجعل سائر المعقولات التي هي بالقوة معقولة
 بالفعل . لكن الشيء الذي هو بذاته معقول ، هو بذاته عقل ؛ فإن الشيء الذي هو بذاته
 معقول ، هو الصورة المجردة عن المادة ، وخصوصا إذا كانت مجردة بذاتها لا بغيرها ؛ وهذا
 ١٠ الشيء هو العقل بالفعل أيضا ، فإذن هذا الشيء معقول بذاته أبدأ بالفعل ، وعقل بالفعل .

لكن ليس كل ما هو مبصر بذاته فهو مبصر بذاته ، أو بصير بذاته ؛ لأن المبصر بذاته هو
 الذي ينزع آخر غيره هو البصر صورته ، فينتطح بها لا بتوسط . والبصير بذاته هو الذي ينزع
 صورة غيره فتنتطح به . فلماذا لم يستقم أن تكون الشمس مشابهة للعقل الفعال من هذه
 الجهة ؛ وليس كل شيئين يتشابهان في جهة يتشابهان في كل جهة .

١٥ ويجب أن نعرف أن هذا الجوهر الذي هو العقل ، هو جوهر مجرد عن المادة بالذات ،

- (٢) أبصارنا : الإبصار (٢ ، ٣) رائية ... وذلك : ساقطة من س (٣) إذا : + صح أن ه .
 (٤) قوة : ساقطة من س .
 (٦) مبصرة : مبصر ه || لإبصارنا : لإبصار ؛ الإبصار س || فكذلك : كذلك ح .
 (٧) هي : ساقطة من ه .
 (١١) بذاته : + أو بصير بذاته ح || فهو : هو س || بصير : بصر س .
 (١٢) البصر : البصر ح || فينتطح : فينتطح س || بها لا بتوسط : فيها لا بواسطة ه || والبصير :
 والبصر س ، س .
 (١٣) به : بها س ، ه .

وبالعلاقة العقلية ، ومن كل جهة ، وأنه ليس هو وحده بهذه الصفة ، بل ذواتٌ أخرى كثيرة أعلى منه تشاركه في أن كل واحدٍ منها جوهر عقلي مفارق للمادة أصلاً ، وتخالفه في أن كل واحدٍ منها نوعٌ على حدة . وهذه الأشياء كثيرة بحسب كثرة العوالم العالية والكرات السماوية ، وأن الأعلى منها علةٌ لوجود ما دونه ، ولوجود العالم الذي هو له كهذا العقل الفعّال لعالمنا ، أعني أن تلك العوالم حسيةٌ ولها أنفسٌ عاقلة ، يتشبه كل واحدٍ من أنفسها بواحدٍ من هذه البريئة عن المادة ، ويستكمل به ، ويتشبه به - ومع ذلك فالأسفل لا يصدر عن الأعلى ، ولا يحجب عنه . والمعقولات منكشفةٌ ، ليس هناك ستر بوجه من الوجوه - وأن علة عالمٍ عالمٍ ، وفلكٍ فلكٍ ، ونفسٍ نفسٍ ، لعالمٍ واحدٍ واحدٍ من هذه ، وأن علة الكل وموجدَه هو المبدأ الأول الواحد لكل حق .

فهذه إشارة إلى ما ينفع تصوره في هذا الموضع ، وإن كان التصديق به غير مماتٍ أو متحقق (إلا) بالصناعة الإلهية .

- (١) العقلية : الفعلية س || بل : ذوات س ، س .
- (٤) والكرات : وبكثرة الكرات ه || الذي : ابتداء من هنا توجد صفحتان في مخطوطة ج [أحمد الثالث] مطموستان .
- (٥) يتشبه : يشبه س .
- (٨) وأن : فإن ه || واحد : ساقطة من س ، ج .
- (٩) حق : + تعالى جده س ، ه .
- (١٠) ينفع : يذفع س .
- (١١) متحقق : تتحقق ه .

الفصل الثالث عشر

في إثبات النبوة

ليس يمكننا في تعلم العلوم كلها أن نتحرز عن مصادرٍ على مقدمات تتبين في علوم أخرى ؛ فإن مبادئ العلوم ، وخصوصاً الجزئية ، تتعرف إما من علوم جزئية غيرها ، أو من العلم الكلى الذى يسمى فلسفة أولى ؛ فليس يمكن أن يُبرهن على مبادئ العلوم من العلوم نفسها . فليس لنا ها هنا أن كل معلول فيجب أن يلزم عن علته حتى يوجد ؛ وما دام ممكن الوجود عنها بعد ، فليس يوجد . وأن الحركة السماوية اختيارية ، وأن الحركة الاختيارية لا تلزم إلا عن اختيارٍ بالغٍ موجب للفعل . وأن الاختيار للأمر الكلى لا يوجب أمراً جزئياً ؛ وأنه إنما يلزم الأمر الجزئى بعينه عن اختيار جزئى يخصه بعينه . وأن الحركات التى توجد بالفعل هى كلها جزئية ، فيجب إن كانت اختيارية أن تكون عن اختيار جزئى ، فيجب أن يكون الحرك لها مُدركاً للجزئيات ، ولا يكون ألبتة عقلاً صرفاً ، بل يكون نفساً قد تستعمل آلة جسمانية ، تدرك أموراً جزئية إدراكاً إماماً أن يكون تخيلاً عملياً هو

(٢) في إثبات النبوة : ساقطة من س .

(٣) تعلم : ساقطة من س || تتبين : ستبين س .

(٤ ، ٥) وخصوصاً ... العلوم : ساقطة من س .

(٤) إمام : أمام ه .

(٧) عنها : عنه س .

(١٠) تكون عن : تكوث هى عن س .

(١٢) قد : ساقطة من ه .

أرفع من التخيل ؛ وقد بيناه . فيظهر من تسليم هذه أن الحركات السماوية يحرك كل واحد منها جوهره نفساني يتعقل الجزئيات على النحو من التعقل الذي يخصها ، وترسم فيه صورها وصور الحركات التي يختارها كل واحد منها ويجاوره ، حتى تكون الحركات متحدة فيها دائماً ، حتى تتحد الحركات ، ويكون متصوراً لا محالة حينئذ الغايات التي تؤدي إليها الحركات في هذا العالم ، ويتصور هذا العالم أيضاً بتفصيله وتلخيصه والأجزاء التي فيه لا يعزب منها شيء . ويلزم من ذلك أن تتصور الأمور التي تحدث في المستقبل ، وذلك لأنها أمور يلزم وجودها عن النسب التي بين تلك الحركات ، لأنها المتعلقة عندها بالشخصية ، والنسب التي بين الأمور التي هاهنا ، والنسب التي بين هذه الأمور وتلك الحركات . فلا يخرج شيء ألبتة عن أن يكون حدوته في المستقبل لازماً لوجود هذه على ما هي عليه في الحال ؛ فإن الأمور إما أن تكون بالطبع ، وإما أن تكون بالاختيار ، وإما أن تكون بالاتفاق . والتي تكون عن الطبع إنما تكون بالضرورة عن الطبع ، إما طبع حاصل هاهنا أو لى ، وإما طبع حادث هاهنا عن طبع هاهنا ، أو طبع حادث هاهنا عن طبع سماوى .

وأما الاختيارات فإنها تلزم الاختيار ، والاختيار حادث بعد ما لم يكن ، فله علة ، وحدوته عنه بالضرورة وعلائية إما شيء كائن هاهنا عن إحدى الجهات ، أو شيء سماوى ، أو شيء مشترك بينهما .

١٥

(٢) على النحو : بالنحوه .

(٤) إليها : لى س .

(٥) فيه : منه س .

(٦) يعزب . يعرف س .

(٧) لأنها المتعلقة : المتعلقة س .

(٨) بين : تلى ه || الأمور التي : الأمور هذه التي س .

(١١) بالضرورة : بالضرورة س . (١٤) عن : على س .

وأما الانفاقيات فهى اصطكاكات ومصادمات بين هذه الأمور الطبيعية والاختيارية بعضها مع بعض فى مجاريها؛ فتكون إذن الأشياء الممكنة ما لم تجب لم توجد، وإنما تجب لا بذاتها بل بالقياس إلى عللها، وإلى الاجتماعات التى تعلق الشيء. فإذا كان كل شىء مقصوداً بجميع الأحوال الموجودة فى الحال من الطبيعة والإرادة الأرضية والسموية، وتأخذ كل واحد منها ومجراه فى الحال، فإنه يتصور ما يجب عن استمرار هذه على مأخذها من الكائنات. ولا كائنات إلا ما يجب عنها - كما قلنا - فالكائنات إذن قد تدرك قبل الكون، ولا من جهة ما هى ممكنة، بل من جهة ما يجب. وإنما لا ندركها نحن لأنه إما أن نخفى علينا جميع أسبابها الآخذة نحوها، أو يظهر لنا بعضها، ويخفى علينا بعضها. فبمقدار ما يظهر لنا منها يقع لنا حدسٌ ظنٌ بوجودها، وبمقدار ما يخفى علينا منها يداخلنا الشك فى وجودها.

وأما الحركات الأجرام السماوية فتحصرها جميع الأحوال المتقدمة معاً، فيجب أن تحصرها جميع الأحوال المتأخرة معاً، فتكون هيئة العالم مما نريد أن يكون مرتسماً فيه هناك. ثم تلك الصور، لا وحدها، بل الصور العقلية التى فى الجواهر المفارقة أيضاً غير محتجبة عن أنفسنا بحجاب البتة من جهتها. إنما الحجاب هو فى قوانا: إما لضعفها، وإما لاشتغالها

(١) ومصادمات: ومصادفات س.

(٣) التى تعلق: ساقطة من س.

(٤) مقصوداً: متصور هـ.

(٥) مأخذها: حد هـ.

(٧) ولا: لا هـ || يجب: هنا نهاية الصفحتين المضمومتين فى مخطوطة ج || ندركها: تدرك س، ح.

(٨) نحوها: نحوها ما س || فبمقدار: بمقدار ح.

(٩) بوجودها: لوجودها س || منها: مما ح.

(١٢) معاً: ساقطة من هـ || هيئة العالم: ساقطة من س.

(١٤) هو: ساقطة من س || قوانا: قبولنا س:

بغير الجهة التي عندها يكون الوصول إليها ، والانصال بها . وأما إذا لم يكن أحد المعنيين ، فإنّ الاتصال بها مبذولٌ ، وليست مما تحتاج أنفسنا في إدراكها إلى شيء غير الانصال بها ، ومطالعها . فأما الصور العقلية فإنّ الاتصال بها بالعقل النظري ، وأما هذه الصور التي الكلام فيها ، فإنّ النفس إنما تتصورها بقوة أخرى ، وهو العقل العملي ، ويخدمه في ذلك الباب التخيل . فتكون الأمور الجزئية تناهها النفس بقوتها التي تسمى عقلاً عملياً ، من الجواهر العالية النفسانية . وتكون الأمور السكلية تناهها النفس بقوتها التي تسمى عقلاً نظرياً ، من الجواهر العالية العقلية ، التي لا يجوز أن يكون فيها شيء من الصور الجزئية البتة .

وتختلف الاستعدادات للقبول جميعاً في الأنفس ، وخصوصاً الاستعداد لقبول الجزئيات بالاتصال بهذه الجواهر النفسانية . فبعض الأنفس يضعف فيها ويقل هذا الاستعداد أصلاً ، ١٠ لضعف القوة المتخيلة أيضاً . وبعضها يكون هذا فيها أقوى ، حتى إنّ الحس إذا ترك استعمال القوة المتخيلة ، وترك شغله بما تورده عليه ، جذبتها القوة العملية إلى تلك الجهة ، حتى انطبعت فيها تلك الصور . إلا أنّ القوة المتخيلة لما فيها من الغريزة المحاكية والمنتقلة من شيء إلى غيره ، تترك ما أخذت ، وتورد شبيهه أو ضده أو مناسبه ، كما يعرض لليقظان من أنه

(١) يكن : + بهذا س .

(٢) الصور : الصورة ج || الصور : الصورة ج .

(٥) بقوتها : بقوته س ، هـ .

(٦) بقوتها : بقوته هـ .

(٩) لقبول : للنفوس س ، س .

(١٠) أصلاً : ساقطة من هـ .

(١١) لضعف : ويضعف س || القوة : ساقطة من هـ .

(١٣) انطبعت : انطبع س ، ج ؛ تطبع هـ || الصور : الصورة ج || من شيء : ساقطة من س .

(١٤) أخذت : أخذته س || وتورد : فتورد ج || مناسبه : مشاكلة ج || لليقظان : اليقظان س .

يشاهد شيئاً ، فينعطف عليه التخيل إلى أشياء أخرى تحضره مما تتصل به بوجه ، حتى ينسبه
الشيء الأول ، فيعود على سبيل التحليل بالتخمين ، ويرجع إلى الشيء الأول ، بأن يأخذ
الحاضر مما قد تأدى إليه الخيال ، فيفطن أنه خطر في الخيال تابعاً لأي صورة تقدمته ، وتلك
لأي صورة أخرى ، وكذلك حتى ينتهي إلى البدء ، ويتذكر ما نسيه . كذلك التعبير
هو تحليل بالعكس لفعل التخيل ، حتى ينتهي إلى الشيء الذي تكون النفس شاهدته حين
اتصالها بذلك العالم ، وأخذت المتخيلة تنتقل عنه إلى أشياء أخرى . فهذه طبقة .

وطبقة أخرى يقوى استعداد نفسها حتى تستثبت ما نالته هناك ، ويستقر الخيال
عليه ، من غير أن يغلبه الخيال ، وينتقل إلى غيره عنها ، فتكون الرؤيا التي لا تحتاج إلى
تعبير .

١٠ وطبقة أخرى أشد تهيأً من تلك الطبقة ، وهم القوم الذين بلغ من كمال قوتهم المتخيلة
وشدتها أنها لا تستغرقها القوى الحسية في إيراد ما يورد عليها ، حتى يمنعها ذلك عن خدمة
النفس الناطقة في اتصالها بتلك المبادئ الموحية إليها الأمور الجزئية ، فتتصل كذلك في حال
اليقظة ، وتقبل تلك الصور .

١١ (١) عليه : عنه ه || أخرى : أخر ج || تحضره : تحضرها ج ، س ، ه (١ ، ٢) ينسبه الشيء :

يتشبه بالشيء ج (٢) التحليل : التعايل س .

(٣) فيفطن : فينظر س || تقدمته : تعد منه س ، ج .

(٤) البدء : البدن ج ، س || كذلك : لذلك ج .

(٦) وأخذت : فأخذت س ، س ، ه .

(٧) الخيال : الخال ج ، س .

(٨) غير : ساقطة من س || يغلبه : يقبله س || عنها : ساقطة من س ، س .

(١٠) بلغ : يبلغ س .

(١١) الجزئية : ساقطة من ه || كذلك : لذلك س .

(١٣) الصور : الصورة ج .

ثم إنَّ التخيلة أيضاً تفعل مثل ما تفعل في حال الرؤيا المحتاجة إلى التعبير ، بأن تأخذ تلك الأحوال وتحاكيها ، وتستولى على الحسية ، حتى يؤثر ما يتخيل فيها من تلك في قوة بنطاسيا ، بأن تنطبع الصور الحاصلة فيها في البنطاسيا للمشاركة ، فتشاهد صوراً إلهية عجيبة مرئية ، وأقاويل إلهية مسموعة هي مثل تلك المدركات الوحيية .

فهذه إذن درجات المعنى المسمى بالنبوة .

وأقوى من هذا أن تستثبت تلك الأحوال والصور على هيئة مانعة للقوة التخيلية عن الانصراف إلى محادثها بأشياء أخر .

وأقوى من هذا أن تكون التخيلة تستمر في محادثها ، والعقل العملي والوهم لا يخليان عما استثباته ، فتثبت في الذاكرة صورة ما أخذت ، وتقبل التخيلة على البنطاسيا ، وتحاكي منه قبلت بصور عجيبة مسموعة ومبصرة ، ويؤدي كل واحد منها على وجهه .

١٠

فهذه طبقات النبوات المتعلقة بالقوة العقلية العملية والخيالية .

وسنوضح فيما بعد خصوصية القوة النظرية .

(١) تفعل : تقبل س ، ع || مثل : ساقطة من ه .

(٣) الصور : الصورة س || في : من ع .

(٤) وأقاويل : بأقاويل س ، ع .

(٥) فهذه : وهذه ع ، ه || فهذه إذن : وهذا دون س .

(٦) هيئة : هيآتها ع .

(٧ ، ٨) بأشياء ... والعقل : ساقطة من س .

(٩) أخذت : أخذته س || وتحاكي : وتحاذى ع .

(١٠) منه : فيه ع . س .

(١١) طبقات : طبقة س ، س || العملية : ساقطة من ع .

(١٢) وسنوضح : لها ع ، س .

ولا يتعجب متعجباً من قولنا إنَّ المُتَخَيَّلَ ينطبع في البُنطاسيا فيشاهد ، فإنَّ المجازين
قد يشاهدون ما يتخيّلون ؛ ولذلك آلةٌ تتصل بإبانة السبب الذي لأجله يعرض للمرورين
أن يخبروا بالأمر الكائنة ، فيصدقون في الكثير . ولذلك مقدمةٌ ، وهي أنَّ القوة المتخيَّلة
كالموضوعة بين قوتين مستعملتين لها ، سافلةٌ وعاليةٌ ؛ أمَّا السافلةُ فالحس في أنها يورد عليه
صوراً محسوسة تشغلها بها ؛ وأمَّا العاليةُ فالعقل فإنه بقوته يصرفها عن تخيل الكاذبات التي
يوردها الحس عليها ، ولا يستعملها العقل فيها . واجتماع هاتين القوتين على استعمالها يحول
بينها وبين التمكن من إصدار أفعالها الخاصة بها على التمام ، حتى تكون الصور التي تحدثها
بحيث تنطبع في البُنطاسيا انطباعاً تاماً فيحس . فإذا أعرض عنها إحدى القوتين ، لم تبعد
أن تقاوم الأخرى في كثير من الأحوال ، فلم تمتنع عن فعلها بمنعه ، فتارةً تتخلص عن
مجازبة الحس ، فتقوى على مقاومة العقل ، وتُمتنع فيما هو فعلها الخاص غير ملتفتة إلى معاندة
العقل ، وهذا في حال النوم عند إحضارها الصور كالمشاهدة . وتارةً تتخلص من سياسة
العقل عند فساد الآلة التي يستعملها العقل في تدبير البدن ، فتستعصى على الحس ، ولا يمكنه

(١) يتعجب : يتعجب س .

(٣) وهي : وهو ح ، س .

(٥) فإنه بقوته : فإنها بقوتها س || بقوته : بقوتها ه || بصرفها : يفرقها ح || تخيل : التخييلات س ||
الكاذبات : الكاذبة ح || تخيل الكاذبات : انتخيل للكاذبات ه || التي : + لا ح ، س .

(٦) يستعملها : يستعمله ه || واجتماع : ولا اجتماع ح || استعمالها : استعمالها ح .

(٧) الصور : الصورة ح || تحدثها : تحدث ه .

(٨) تبعد : تتعد س .

(٩) الأخرى : أخرى ح || تمتنع : تمتنع س ، س || بمنعه : بمنعه س ؛ فتارةً ح || فتارة :
+ يحصل و ، ح .

(١١) عند : وعند ح || إحضارها : احتضارها ح ، س || الصور : الصورة س ، ح .

(١٢) يمكنه : يمكنها س .

من شغلها ، بل تمن في إتيان أفاعيلها حتى يصير ما ينطبع فيها من الصور كالمشاهدة لانطباعه في الحواس ؛ وهذا في حال الجنون والمرض . وقد يعرض مثل ذلك عند الخوف لما يعرض من ضعف النفس وانحذائها ، واستيلاء الظن والوهم المعيّن للتخيل على العمل ، فيشاهد أموراً موحشة ، فالمرورون والمجانين يعرض لهم أن يتخيلوا ما ليس بهذا السبب .

وأما إخبارهم بالغيب ، فإنما يتفق أكثر ذلك لهم عند أحوال كالصرع والغشي ، تفسد ه حركات قواهم الحسية . وقد يعرض أن تكل قواهم المتخيلة لكثرة حركاتها المضطربة ، لأنها قوة بدنية ، وتكون همهم عن المحسوسات مصروفة ، فيكثر رفضهم للحس . وإذا كان كذلك ، فقد يتفق أن لا تشتغل هذه القوة بالحواس اشتغالاً مستغرقاً ، ويعرض لها أدنى سكون عن حركاتها المضطربة ، ويسهل أيضاً انجذابها مع النفس الناطقة ، فيعرض للعقل العملي اطلاع إلى أعتق عالم النفس المذكور ، فيشاهد ما هناك ، ويتأدى ما يشاهده إلى ١٠ الخيال ، فيظهر منه كالمشاهد والسموع . فحينئذ إذا أخبر به المرور ، وخرج وفق مقاله ، يكون قد تكهن بالكائنات المستقبلية .

والآن يجب أن نختم هذا الفصل ، فقد أدبنا فيه نكت هذه الأسرار المكتومة ؛ والله

المهادي .

(١) بل : بأن ه || إتيان : إراز ح ، ه .

(٢) العمل : العقل ح ، س .

(٣) فالمرورون : كالمرورين س ؛ فالمرورين ح .

(٤) لهم : منهم س .

(٥) حركات : حركة ح || تكل قواهم : تكل قوتهم س ، ح .

(٦) فيكثر : فيكون س .

(٧) عن : من س || أيضاً : ساقطة من س .

(٨) منه : فيه ه || والسموع : السموع ح ، س .

(٩) (١٣ ، ١٤) والله الهادي : ساقطة من س ، ح (١٤) الهادي : الموفق ه .

الفصل الرابع عشر

في زكاء النفس

قد بينا فيما سلف أقصى ما تبلغه القوة العملية في إدراكها ، وسياستها للبدن والعالم ،
ورتبنا درجات النبوات بالقياس إليها . والآن فإننا نريد أن نعرف أشباه تلك الدرجات
في القوة النظرية ، فنقول :

من المعلوم الظاهر أن الأمور المعقولة التي نتوصل إلى اكتسابها بعد الجهل بها ، إنما
نتوصل إلى اكتسابها بحصول الحد الأوسط في القياس . وهذا الحد الأوسط قد يحصل
بضربين من الحصول : فتارة يحصل بالحدس ؛ والحدس هو فعل الذهن يستنبط به بذاته
الحد الأوسط ؛ والدكاء قوة الحدس . وتارة يحصل بالتعليم ؛ ومبادئ التعليم الحدس ، فإن
الأشياء تنهى لا محالة إلى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس ، ثم أدوها إلى المتعلمين .
فجائز إذن أن يقع للإنسان بنفسه الحدس ، وأن ينعقد في ذهنه القياس بلا معلم . وهذا مما
يتفاوت بالكم والكيف ؛ أمّا في الكم فلأن بعض الناس يكون أكثر عدد حدس

(٢) العنوان ساقط من س .

(٦ ، ٧) بعد الجهل بها إنما نتوصل إلى اكتسابها بحصول الحد الأوسط في القياس : يحصل الحد
الأوسط بعد الجهل بها إنما نتوصل إلى اكتسابها بالقياس س ، ه ؛ إنما تكسب بحصول الحد الأوسط
بعد الجهل بها س .

(٩) والدكاء : + في ح .

(١١) إذن : ساقطة من س ، ح || معلم : + يعلم س ، ح .

(١١ ، ١٢) مما يتفاوت : متفاوت ح ؛ يتفاوت ه .

للحدود الوسطى ؛ وأما في الكيف فلأنَّ بعض الناس يكون أسرعَ زمانِ حدس . ولأنَّ هذا التفاوت ليس منحصراً في حدسٍ ، بل يقبل الزيادة والنقصان دائماً ، وينتهي في طرف النقصان إلى مَنْ لا حدسَ له ألبتة ، فيجب أن ينتهي في طرف الزيادة إلى مَنْ له حدسٌ في كل المطويات أو أكثرها ، أو إلى مَنْ له حدسٌ في أقصر وقتٍ وأقصره ؛ فيمكن إذن أن يكون شخصٌ من الناس مؤيِّدَ النفس بشدة الصفاء ، وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية إلى أن يشتعل حدساً ، أعني قبولاً للإلهام العقل الفعَّال في كل شيء ، فترسم فيه الصور التي في العقل الفعَّال ، إمَّا دفعةً ، وإمَّا قريباً من دفعةٍ ، ارتساماً عقلياً لا تقليدياً ، بل [بترتيب يشتمل على] الحدود الوسطى ، فإنَّ التقليديات في الأمور التي إنما تُعرف بأسبابها ليست بيقينية عقلية .

وقد ظهر لنا في العلوم الإلهية أنَّ الصور التي هي في الأجسام العالية تابعةٌ في الوجود ١٠ للصور التي في النفوس والعقول الكلية ؛ وأنَّ هذه المادة طوعٌ تقبول ما هو متصورٌ في عالم العقل ؛ وأنَّ تلك الصور العقلية مبادئٌ لهذه الصور الحسية يجب عنها لذاتها وجودٌ هذه الأنواع في العوالم الجسمانية . والأنفس الإنسانية قريبةٌ من تلك الجواهر ، وقد نجد لها فعلاً

(١) في الكيف : بالكيف س || يكون : ساقطة من س ، ح .

(٢) ليس : ساقطة من س .

(٣) ينتهي : + أيضاً هـ .

(٤) أو إلى : وإلى س ، س || أقصر : أسرع هـ .

(٥) إذن : ساقطة من س .

(٦ ، ٧) أعني . . . الفعَّال : ساقطة من س ، ح . (٧) عقلياً : ساقطة من س ، ح || تقليدياً :

تقليدياً س ، ح .

(٨) بترتيب يشتمل على : زيادة من هـ || الحدود : بالحدود ح ، س .

(٩) عقلية : + وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوة النبوة ، والأولى أن تسمى هذه القوة قوة

قدسية وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية [خاتمة الفصل في النجاة] .

(١٣) قريبة : مرتبة ح || نجد : يحدث س .

طبيعياً في البدن الذي لكل نفس ؛ فإنَّ الصورةَ الإرادية التي ترسم في النفس يتبعها ضرورةً شكلٌ فيسرى إلى الأعضاء ، وتحريكٌ غير طبيعي ، وميلٌ غير غريزي ، تدعن لها الطبيعة .

والمصورة الجوفية التي ترسم في الخيال يحدث عنها في البدن مزاج من غير استحالة
٥ عن تخيل طبيعي شبيه بنفسه .

والمصورة الغضبية التي ترسم في الخيال يحدث عنها في البدن مزاج آخر من غير استحالة
عن تخيلٍ شبيهٍ .

والمصورة المعشوقة عند القوة الشهوانية إذا لمحت في الخيال حدث عنها مزاج يُحدث ريحاً عن المادة الرطبة في البدن ، ويحدده إلى العضو الموضوع آلةً للفعل الشهواني ، حتى
١٠ تستعد لذلك الشأن . وليست طبيعة البدن إلا من عنصر العالم . ولولا أن هذه الطباع موجودة في جوهر العنصر ، لما وُجد في هذا البدن . ولا ننكر أن يكون من القوى النفسانية ما هو أقوى فعلاً وتأثيراً من أنفسنا نحن ، حتى لا يقتصر فعلها في المادة التي رسم لها وهو بدنها ، بل إذا شاءت أحدثت في مادة العالم ما يتصور بأسباب في نفسها ؛ وليس يكون مبدأ ذلك

(١) النفس : الخيال ه .

(٢) ضرورة : صورة ح || إلى الأعضاء : للأعضاء ح .

(٥) تخيل : تخيل س .

(٦ ، ٨) عنها : منها ح ، س .

(٩) للفعل : الفعل س .

(١٠) الشأن : البيان س || ولولا : ولو س || الطباع : الطباع ح .

(١١) ولا : فلا س .

(١٢) في : عن ح || بدنها : بداتها ح ، س .

(١٣) أسباب : ساقطة من س ، س ؛ فعلها ه .

إلا إحداث تحريك وتسكين ، وتبريد وتسخين ، وتكثيف وتليين ، كما تفعل في بدنها ، فيتبع ذلك أن تحدث سحب ورياح ، وصواعق وزلازل ، وتنبع مياه وعيون وما أشبه ذلك في العالم البشرى بإزادة هذا الإنسان .

فأفضل النوع البشرى من أوفى السكالم في حدس القوة النظرية ، حتى استغنى عن العلم البشرى أصلاً ؛ وفي كهاته العملية ، حتى يشاهد العالم النفساني بما فيه من أحوال العالم ، ويستتبتها في اليقظة ، وتعمل القوة المتخيلة فيه عملها التام فيه ، فيشاهدها بوجه خاص آخر ، على ما ذكرنا ، ويكون نفوته النفسانية أن تؤثر في عالم الطبيعة .
ثم الذي له الأسران الأولان وليس له الأمر الثالث ، الذي له هذا التهيؤ الطبيعي في القوة النظرية دون العملية .

ثم الذي اكتسب هذا الاستكمال في القوة النظرية ، ولا حصة له في أمر القوة العملية ، ١٠ من الحكماء المذكورين .

ثم الذي ليس له في القوة النظرية لا تهيوؤ طبيعي ، ولا اكتساب تكلفي ، ولكن له التهيؤ في القوة العملية ، فالرئيس الأول المطلق .

(١) وتلين : وتكثير س .

(٣) البشرى : ساقطة من س ، س .

(٤) البشرى : الإنسانى ه || أوفى : أوتى س .

(٥) العملية : + كان ح .

(٦) العالم : العوالم ح ، ه || فيه . منه ح ، س || عملها : عمله ه || خاص : ساقطة من س ، س ، ه .

(٨) ثم : ساقطة من ح || له : ساقطة من س || الأمر : ساقطة من س || الثالث : + ثم ح ، س .

(١٠) اكتسب : يكتسب ح .

(١٢) لا تهيوؤ : تهيوؤ س .

والملك الحقيقي الذي يستوجب بذاته أن يملك ، هو الأول من العدة المذكورة ، الذي إن نسب نفسه إلى عالم العقل وجد كأنه متصل به دفعةً ، وإن نسب نفسه إلى عالم النفس وجد كأنه من سكان ذلك العالم ، وإن نسب نفسه إلى عالم الطبيعة كان فعلاً فيه ما يشاء .

وَالَّذِي يَتْلُوهُ أَيْضاً رَئِيسٌ كَبِيرٌ بَعْدَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ ؛ وَالْبَاقُونَ هُمْ أَشْرَافُ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَكِرَامِهِ .

وَأَمَّا الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ اسْتِكْمَالُ شَيْءٍ مِنَ الْقُوَى ، إِلَّا أَنَّهُمْ يُصَلِّحُونَ الْأَخْلَاقَ ، وَيَقْتَنُونَ الْمَلَاسِكَاتِ الْفَضِيلِيَّةَ ، فَهِيَ الْأَذْكِيَاءُ مِنَ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَلَيْسُوا مِنْ ذَوِي الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَمَيِّزُونَ عَنْ سَائِرِ أَصْنَافِ النَّاسِ .

- (١) يستوجب : يستحق ح ، ه || يملك : يملك ح || هو : ساقطة من ح || العدة : انقوة س || المذكورة : المذكورين ه .
(٣) فعلاً : فاعلا ح .
(٥) أشرف : أشرف ه .
(٦) وكرامه : + وكبراهه هامش ح .
(٧) شيء : ساقطة من س || أنهم : ساقطة من س .
(٩) يتميزون : متميزون ح .

الفصل الخامس عشر

في سعادتها وشيئا وتها بعد الفراق

يجب أن تعلم أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البعث . وخيرات البدن وشروبه معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم . وقد بسطت الشريعة الحقة التي أنا بها سيدنا ومولانا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن ؛ ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة البالغتان اللتان للأنفس . إلا أن الأفهام تقصر عنها ، لما نوضح من العلال .

والحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى ذلك ، وإن أعطوه ، ولا يستعظمونه بحسب هذه السعادة .

(٢) في ... الفراق : ساقط من س .

(٣) من الشرع : من صاحب الشرع عليه الصلوات والتحية والسلام س .

(٤) الشريعة : الشرع نفسه س .

(٥) أن ساقطة من هـ || تعلم : + ذلك س || الحقة : ساقطة من هـ || سيدنا ومولانا نبينا : ساقطة

من هـ .

(٦) نبينا : ساقطة من س ، ح .

(٧) البالغتان : الناقتان هـ .

(٨) للأنفس : للأنفس ح || الأفهام : الأوهام س ، هـ .

(٩) الإلهيون : + ليس هـ (٩ ، ١٠) أعظم . . . البدنية : ساقطة من هـ (١٠) البدنية :

الديوية ح || ذلك : تلك هـ || أعطوه : أعطوها س ، هـ ، هـ || يستعظمونه : يستعملونه س ، هـ ؛

يستعظمونها س ، هـ || بحسب : في جنب هـ .

التي هي مقارنة الحق الأول وعلى ما نصفها عن قريب . فلنصف حال هذه السعادة والشقاوة المضادة لها ، فإن البدنية مفروغ منها في الشرع . فنقول :

ر يجب أن تعلم أن لكل قوة نفسانية لذة وخيراً يخصصها ، وأذى وشرّاً يخصصها . مثله أن لذة الشهوة وخيرها أن يتأدى إليها كصفات محسوسة ملائمة من الحمسة ؛ ولذة الغضب الظفر ؛ ولذة الوهم الرجاء ؛ ولذة الحفظ تذكر الأمور الموافقة الماضية ؛ وأذى كل واحدة منها ما يضادها . وتشترك كلها نوعاً من الشركة في أن الشعور بموافقتها وملائمتها هو الخير ، واللذة الخاصة بها وموافق كل واحد منها بالذات والحقيقة هو حصول الكمال الذي هو بالقياس إليه كمال بالفعل . فهذا أصل .

وأيضاً فإن هذه القوى ، وإن اشتركت في هذه المعاني ، فإن مراتبها في الحقيقة مختلفة . فالذي كماله أفضل وأتم ، والذي كماله أكثر ، والذي كماله أدوم ، والذي كماله أوصل إليه ، والذي هو في نفسه أكمل وأفضل ، والذي هو في نفسه أشد إدراكاً ، فاللذة التي له أبلغ وأوفر لا محالة . وهذا أصل .

وأيضاً فإنه قد يكون الخروج إلى الفعل في كمالٍ ما بحيث نعلم أنه كائن ولذيذ ، ولا نتصور كلفه ولا نشعر بالذادة ما لم تحصل . وما لم نشعر به لم نشق إليه ، ولم نزرع نحوه ؛

(٤) كصفات : كيفية س ، هـ || من : + الحواس هـ .

(٧) واللذة : والقوة س || هو : ساقطة من س .

(١٠) أوصل إليه : + وأحصل له س ، هـ .

(١١) فاللذة : فالقوة س .

(١٢) وأوفر : وأوفي هـ || لا محالة : ساقطة من س ، ح .

(١٣) الخروج : + من القوة س ، س || ما : ساقطة من س .

(١٤) نحوه : + الاشتهاه والحنين اللذين يكونان مخصوصين به بل شهوة أخرى كما يشتهي من يجرب

من حيث يحصل بها إدراك وإن كان مؤذياً وبالجملة فإنه س ، هـ .

مثل العنّين فإنه متحقق أنّ للجماع لذةً ، ولكنه لا يشتميه ، ولا يحن نحوه ، ولا يتخيله . وكذلك حال الأكمه عند الصور الجميلة ، والأصم عند الألحان المنتظمة . ولهذا يجب أن لا يتوهم العاقل أنّ كلّ لذة فهو كما للحمار في بطنه وفرجه ؛ وأنّ المبادئ الأولى المقربة عند ربّ العالمين عادةٌ للذة والغبطة ؛ وأنّ ربّ العالمين ليس له في سلطانه ، وخاصة البهائم الذي له ، وقوته الغير المتناهية ، أمر في غاية الفضيلة والشرف والطيب نجده عن أن يسمى لذةً . هـ

ثم للحمار والبهائم حالة طيبةٌ ولذيذة . كلا ، بل أي نسبة تكون لذلك مع هذه الخسيسة !! ولكننا نتخيل هذا ونشاهده ، ولم نعرف ذلك بالاستشعار بل بالقياس ، فحالنا عنده كحال الأصم الذي لم يسمع قط في عدم تخيل اللذة اللحنية ، وهو متيقن لطيبها . وهذا أصل .

وأيضاً فإنّ الكمال والأمر الملائم قد يتيسر للقوة الدركية ، وهناك مانع أو شاغل للنفس ، فيكرهه ويؤثر ضده عليه ؛ مثل كراهية بعض المرضى الطعم الحلو وشهوتهم الطعوم الرديئة الكريهة بالذات ؛ وربما لم تكن كراهية ولكن عدم استلذاذ به ، كالحائض يجد الغلبة أو اللذة فلا يشعر بها ، ولا يستلذ بها . وهذا أصل .

- (١) متحقق : يتحقق ه .
 (٣) فهو : + للمحسوس ح || المقربة : المترتبة ح ؛ المعروفة س .
 (٤) العالمين : + تعالى جده وتقدست أسماؤه س || العالمين : + تبارك وتعالى س .
 (٥) والطيب : + الذي س || عن : ساقطة من س .
 (٧) حالنا : بحالنا ح .
 (٨) عدم : عدمه ح (٨ ، ٩) وهو . . . أصل : ساقطة من س ، ح
 (١١) الطعم : للطعم ه || وشهوتهم : وشهوتهم ح .
 (١٢) الطعوم : للطعوم س || بالذات : بالذات ح || ولكن : + كان س ، ه || استلذاذ : الاستلذاذ ح ، س ، ه .

وأيضاً قد تكون القوة الدَرَآكة ممنوَّة بضد ما هو كآلها ، ولا تحس به ، ولا تنفر عنه ، حتى إذا زال العائق تأذت كل التأذى ، ورجعت إلى غريزتها ؛ مثل المرور ، فربما لم يحس بمرارة فه ، إلى أن يصلح مزاجه ، وتتدى أعضاءه ، فحينئذ ينفر عن الحال العارضة له . وكذلك قد يكون الحيوان غير مشتهٍ الغذاء ألبته - وهو أوفق شىء يكون له - وكآرها له ، وتبقى علته مدة طويلة ، فإذا زال العائق عاد إلى واجبه في طبعه ، فاشتد جوعه وشهوته للغذاء ، حتى لا يصبر عنه ، ويهلك عند فقدانه . وكذلك يحصل بسبب الألم ، مثل إحراق النار وتبريد الزمهرير ، إلا أن الحس مؤوف بآفة فلا يتأذى البدن بها حتى تزول الآفة ، فيحس حينئذ بالألم العظيم .

فإذا تقررت هذه الأصول ، فيجب أن ننصرف إلى الغرض الذى نؤمه ، فنقول :
 ١٠ إنَّ النفسَ الناطقةَ كآلها الخاص بها أن تصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صورة الكل ، والنظام المعقول فى الكل ، والخير الفائض فى الكل ، مبتدئاً من مبدأ الكل ، وسالكاً إلى الجواهر الشريفة التى هى مبدأ لها الروحانية المطلقة ، ثم الروحانية المتعلقة نوعاً مآ فى الأبدان ، ثم الأجسام العلوية بهيئاتها وقواها ، ثم كذلك حتى تستوفى فى نفسها هيئة

- (١) به : ساقطة من س .
- (٢) تأذت : تأذى ح ؛ + به ه || غريزتها : غريزته ح .
- (٣) بمرارة : بمرورة س ؛ لمرارة س || وتتدى : وتتدى له || له : ساقطة من س .
- (٤) الغذاء . لاغذاء س || يكون : ساقطة من ح ، س .
- (٥) وتبقى علته : ويبقى عليه س ، ح ، س ، ه .
- (٦) وكذلك : + قد س || الألم : + العظيم ه || إحراق : حرق س ، ح .
- (٧) إلا ... البدن : لا يحس البدن س ؛ بأن لا يحس البدن آفة فلا يتأذى البدن ح ، ه .
- (٨) فإذا : وإذا س ، ح .
- (٩) صورة : صور س ، ح .
- (١٠) الفائض : + من واهب الصور س .
- (١١) فى الأبدان : بالأبدان ه || بهيئاتها : بهيئتها ح .

الوجود كله ، فتقلب عالمًا معقولًا موازيًا للعالم الموجود كله ، مشاهدًا لما هو الحسن المطلق ،
والخير المطلق ، والجمال الحق ، ومتحدًا به ، ومنتقشًا بمثاله وهيئته ، ومنخرطًا في سلسله ،
وصائرًا من جوهره .

فلنفس هذا بالكمالات المشوقة للقوى الأخرى ، فنجد هذا في المرتبة بحيث يقبح
معها أن يقال إنه أفضل وأتم منها ، بل لا نسبة لها إليه بوجه من الوجوه فضيلةً وتماماً •
وكثرة ، وسائر ما يتم به إلذاذ المدركات مما ذكرنا .

وأما الدوام ، فكيف يقاس الدوام الأبدى بالدوام المتغير الفاسد ؟ وأما شدة الوصول ،
فكيف يقاس ما وصوله بملاقاء السطوح مع ما هو سائر في جوهر قابله ، حتى يكون كأنه
هو هو بلا انفصال ، إذ العقل والعقل والمعقول واحد ، أو قريب من الواحد .

وأما أن المدرك نفسه أكمل فأمراً لا يخفى . وأما أنه أشد إدراكاً فأمراً أيضاً يكشف
عنه أدنى بحث ، فإنه أكثر عدد مدركات وأشد تقصيماً للمدرك ، وتجريداً له عن الزوائد
الغير الداخلة في معناه إلا بالعرض ، والخوض في باطنه وظاهره . بل كيف يقاس هذا
الإدراك بذلك الإدراك ؟ وكيف يمكننا أن ننسب اللذة الحسية والبهيمية والغضبية إلى هذه

(١) فتقلب : نصير س || الحسن المطلق : الخير المطلوب ح .

(٢) والجمال : والكمال ح || الحق : المطلق س ، ح .

(٣) من : في ح .

(٤) يقبح : يصح س ، ه .

(٥) معها : ساقطة من س ، ح .

(٦) وسائر ... ذكرنا : ساقطة من س ، ح .

(٨) يقاس : يكون حاله بقياس س ، ه || كأنه : ساقطة من س ، ح ، ه .

(٩) أو قريب من الواحد : ساقطة من س ، ح ، ه .

(١٠) المدرك نفسه : المدرك في نفسه ه || فأمراً : فالأمر ح .

(١١) فإنه : فإن النفس النطقية س ، ه || تقصيماً : أيضاً ح .

(١٢) بذلك : بذلك س .

السعادة واللذة؟ ولكننا في عالمنا وأبداننا هذين ، وانغماسنا في الرذائل ، لا نحس بتلك اللذة إذا حصل عندنا شيء من أسبابها ، كما أوماننا إليه في بعض ما قدمناه من الأصول ؛ ولذلك لا نطلبها ، ولا نبحثُ إليها ، اللهم إلا أن نكون قد خلعنا ربة الشهوة والغضب وأخواتها عن أعناقنا ، وطالعنا شيئاً من تلك اللذة ، فحينئذ ربما نتخيل منها شيئاً طفيفاً ضعيفاً ، وخصوصاً عند انحلال المشكلات ، واستيضاح المطالبات النفيسة ؛ والتذاذنا بذلك شبيهة

٥ بالالتذاذ الحسى عن المذوقات اللذيذة وبروائجها من بعيد .

ثم إننا إذا انفصلنا عن البدن ، وكانت النفس منا تنبهت في البدن لكاملها الذي هو معشوقها ، ولم تحصله ، وهي بالطبع نازعةٌ إليه إذا عقلت بالفعل أنه موجود ، إلا أن اشتغالها بالبدن - كما قلنا - قد أنساها ذاتها ومعشوقها ، كما ينسى المريض الحاجة إلى بدل ما يتعطل ، وكما ينسى المريض الاستلذاذ بالحلل واشتهاءه ، ويميل بالشهوة منه إلى المكروهات في الحقيقة ،

١٠ عرض حينئذ لها من الألم بفقدانه كفاء ما يعرض من اللذة التي أوجبنا وجودها ، ودللتنا على عظم منزلتها ؛ فيكون ذلك هو الشقاوة والمعقوبة التي لا يعدلها تفريق النار للاتصال

(١) اللذة : القوة س ، ح .

(٢) قدمناه : قدمنا س ، ح .

(٣) قد : ساقطة من س ، ح .

(٤) شيئاً : + شيئاً س || طفيفاً : + خفيفاً ح .

(٥) النفيسة : اليقينية س ؛ النفيسة هـ .

(٦) المذوقات : المذافات س || وبروائجها : وبدراكمها س ، س || بعيد : في كتاب النجاة فقرة

طويلة زائدة .

(٨) تحصله : تحصل ح ، س ؛ وتحصلها هـ || إذا : إذ هـ || اشتغالها : استغلامها ح .

(٩) قد : ساقطة من س ، ح || أنساها ذاتها ومعشوقها : أنساها ذاته ومعشوقه هـ .

(١٠) منه : + وأشباهه ح .

(١١) كفاء ما : كما ح || اللذة التي : الفقدان الذي ح .

وتبديلها ، وتبديل الزمهرير للمزاج . فيكون مثلنا حينئذ مثل الخدير الذي أومأنا إليه فيما سلف ، أو الذي عمل فيه نار أو زمهرير فنمت المادة اللابسة وجه الحس عن الشعور به فلم يتأذ ، ثم عرض أن زال العائق فشعر بالبلاء العظيم .

وأما إذا كانت القوة العقلية بلغت من النفس حداً من السكال يمكنها به إن فارتق البدن أن تستكمل الاستكمال التام الذي لها أن تبلغه ، كان مثلنا مثل الخدير الذي أذيق •
المطعم الألد و عرض للحالة الأشهى وكان لا يشعر به ، فزال عنه الخدر ، فطالع اللذة العظيمة دفعةً ، وتكون تلك اللذة لا من جنس اللذة الحسية والحيوانية بوجه ، بل لذة تشاكل الحالة الطيبة التي للجواهر الحية المحضة ، وهي أجل من كل لذة وأشرف .

فهذا هو السعادة وتلك هي الشقاوة .

وتلك الشقاوة ليست تكون لكل واحد من الناقصين ، بل الذين اكتسبوا للقوة ١٠
العقلية الشوق إلى كمالها ، وذلك عند ما يبرهن لهم أن من شأن النفس إدراك ماهية الكل

(١) للمزاج : المزاج ح .

(٢) فنمت : تمنعه ح || اللابسة : الملائمة ح .

(٣) زال : + العارض ح .

(٤) يمكنها : لا يمكنه س ؛ يمكنه ه || به : ساقطة من س || إن فارتق : إذا فارق س ، ح ، ه .

(٥) التام : ساقطة من س ، ح ، ه || لها : له س ، ح ، ه || مثلنا : مثله س ، س ، ه ؛ مثلها س .

(٦) المطعم : الطعم ه || به : ساقط من ه .

(٧) اللذة : القوة س ، ح || بل : + من ح .

(٨) الطيبة : الطبيعية س || وهي : ساقطة من س ، ح .

(١٠) واحد من : ساقطة من س .

(١١) الشوق : شوقاً س .

بكسب المجهول من المعلوم والاستكمال بالفعل ؛ فإن ذلك ليس فيها بالطبع الأول ، ولا أيضاً في سائر القوى ، بل شعوراً أكثر القوى إنما يحدث بعد أسباب .

وأما النفوس والقوى الساذجة الصرفة فكأنها هيولى موضوعة لم تكتسب البتة هذا الشوق ؛ لأن هذا الشوق إنما يحدث حدوثاً وينطبع في جوهر النفس ، إذا تبرهن للقوة النفسانية أن هاهنا أموراً تكتسب العلم بها بالحدود الوسطى ، وبمادة معلومة بأنفسها . وأما قبل ذلك فلا يكون ، لأن هذا الشوق يتبع رأياً ، وليس رأياً أولياً بل رأياً مكتسباً . فهؤلاء إذا اكتسبوا هذا الرأي لزم النفس ضرورة هذا الشوق ؛ فإذا فارق ولم يحصل معه ما تبلغ به نفسه بعد الانفصال التام ، وقع في هذا النوع من الشقاء الأبدى ، لأنه إنما كانت تلك الآلة تكتسب بالبدن لا غير ، وقد فات .

١٠ وهؤلاء إما مقصرون عن السعى في كسب الكمال الإنسى ، وإما مماندون جاحدون متعصبون لآراء فاسدة مضادة للآراء الحقيقية . والجاحدون أسوأ حالاً لما اكتسبوا من هيئات مضادة للكمال] .

وأما أنه كم ينبغي أن يحصل عند نفس الإنسان من تصور المعقولات حتى يجاوز به

(١) بكسب : لكسب ح || بالفعل : بالمقل ح .

(٢) بل : + هي ح || القوى : + بكلماتها ه .

(٣) فكأنها : فكلها ح .

(٤) تبرهن : برهن ح .

(٦) وليس رأياً : وليس دائماً س .

(٧) ولم : فلم س ، س .

(٨) نفسه : ساقطة من س ، س ، ه || وقع : فوق ح .

(١١) لآراء فاسدة : للآراء الفاسدة س || الحقيقية : إذا صفت النفس تبرهن أن كل حق بلا كلفة

إلى الحقيقة ح (١١ ، ١٢) والجاحدون ... مضادة : ساقطة من س ، ح ، ه (١٢) للكمال : زيادة في النجاة .

(١٣) نفس الإنسان : النفس ه .

الحد الذي في مثله تقع هذه الشقاوة ، وفي تعديده وجوازه ترجى هذه السعادة ، فليس يمكنني أن أنص عليه نصاً إلا بالتقريب .

وأظن أن ذلك بأن تتصورَ نفسُ الإنسان المبادئَ المفارقةَ تصوراً حقيقياً ، وتصدقَ بها تصديقاً يقينياً ، لوجودها عنده بالبرهان ، وتعرف العلة الغائية للأُمور الواقعة في الحركات الكلية دون الجزئية التي لا تنهاى ، وتتقرر عنده هيئة الكل ونسبة أجزائه بعضها إلى بعض ، والنظام الآخذ من المبدأ الأول إلى أقصى الموجودات الواقعة في ترتيبه ؛ ويتصور العناية وترتيبها وكيفيةها ، ويتحقق أن الذات المتقدمة للكل أى وجود يخصها ، وأى وحدة تخصها ، وأنها كيف تعرف حتى لا يلحقها تكسُّر وتغيُّر بوجه من الوجوه ، وكيف ترتيب الموجودات إليها . ثم كلما ازداد الناظر استبصاراً ازداد للسعادة استعداداً ؛ وكأنه ليس يبرأ الإنسان عن هذا العالم وعلاقته إلا أن يكون أگدَ العلاقة مع ذلك العالم ، فصار له شوقٌ إلى ما هناك ، وعشقٌ لما هناك ، يصدده عن الالتفات إلى ما خالفه جملةً .

يونقول أيضاً : إن هذه السعادة الحقيقية لا تتم إلا بإصلاح الجزء العملى من النفس ؛
واقدم لذلك مقدمة كذا قد ذكرناها فيما سلف ، فنقول :

إِنَّ الْخُلُقَ مَأْكَّةٌ تُصَدَّرُ بِهَا عَنِ النَّفْسِ أفعالٌ مَّا بِسَهولةٍ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ رُويَةٍ . وَقَد

(١) وفي تعديده ... السعادة : ساقطة من س ، ع ، ه .

(٢) نصاً : ساقطة من س ، ع .

(٥) ونسبة : ونسب س ، س .

(٨) يلحقها : يلحقه ع .

(٩) وكأنه : فكأنه س .

(١٠) وعلاقته : وعلاقته ع .

(١١) يصدده : فصدده س ، ع || ما : ساقطة من ه .

(١٣) كنا : وكأننا ع ، س ، ه .

(١٤) الخلق : + هي ع ، س ؛ هو ه || بها : منها س || ما : ساقطة من س .

أمر في كتب الأخلاق بأن يستعمل التوسط بين الخلقين الضدين ، لا بأن تُفعل أفعال التوسط دون أن تحصل ملكة التوسط . وملكة التوسط كأنها موجودةٌ للقوة الناطقة وللقوى الحيوانية معاً . أمّا القوى الحيوانية فبأن يحصل فيها هيئة الإذعان ، وأمّا القوة الناطقة فبأن يحصل فيها هيئة الاستعلاء ، كما أنَّ ملكة الإفراط والتفريط موجودةٌ للقوة الناطقة وللقوى الحيوانية معاً ، ولكن بعكس هذه النسبة ؛ ومعلوم أنَّ الإفراط والتفريط هما مقتضى القوى الحيوانية التي في الشهوة . وإذا حصلت ملكتها يكون قد حدث في النفس الناطقة هيئةٌ إذعانية وأثرٌ انفعالي قد رسخ في النفس الإنسانية ، ومن شأنها أن تجعلها قوية العلاقة مع البدن ، شديدة الانصراف إليه .

وأما ملكة التوسط فالمراد منها التنزيه عن الهيئات الاتقيادية ، وتنقية النفس الناطقة على جبلتها ، مع إفادة هيئة الاستعلاء والتنزيه ؛ وذلك غير مضاد لجوهرها ، ولا مائل بها إلى جهة البدن بل عن جهته ، فإنَّ المتوسط يُسلب عنه الطرفان دائماً . ثم النفس إنما كان البدن يغمرها ويلهبها ويفعلها عن الشوق الذي يخصها ، وعن

- (١) كتب : كتاب س (١ ، ٢) أفعال التوسط : الأفعال المتوسطة س .
- (٣) أمّا القوى : أمّا للقوى س ، س .
- (٤) الاستعلاء : + والانفعال ه .
- (٥ ، ٦) ولكن . . . الحيوانية : ساقطة من س (٦) التي . . . ملكتها : وإذا قويت قوى الحيوانية وحصل لها ملكة استعلائية س || حدث : حدثت ح .
- (٧) الإنسانية : الناطقة س ، ه || ومن : من س || تجعلها : تجعله ح ، س || قوية : قوى ح ، س ، ه
- (٨) شديدة : شديد ح ، س ، ه .
- (٩) التنزيه : التبرئة ه || الهيئات : الهيئة ح .
- (١٠) جبلتها : جبلتها ح || إفادة : إفشائه ح || لجوهرها : لجوهره ه || بها : به س ، س ، ه .
- (١١) فإن : فلأن ه || المتوسط : التوسط س ، ه .
- (١٢) ثم : + جوهر س || يغمرها ويلهبها ويفعلها : يغمره ويلهبه ويفعله س ، ه || يخصها : يخصه ح ، س ، ه .

طلب الكمال الذى لها ، وعن الشعور بلذة الكمال إن حصل لها ، أو الشعور بألم الكمال إن قصرت عنه ، لا بأن النفس منطبعة فيه ، أو منغمسة فيه ، ولكن للعلاقة التى كانت بينهما ، وهو الشوق الجليل إلى تديره والاشتغال بآثاره ، وما يورد عليها من عوارضه .

فإذا فارقت وفيها ملكة الاتصال به ، كانت قريبة الشبه من حالها وهى فيه . فيما ينقص من ذلك لا يغفلها عن حركة الشوق الذى له إلى كمالها ، وبما يبقى منه معها يصددها عن الاتصال الصرف لمحل سعادتها ، ويحدث هناك من الحركات المتشوشة ما يعظم أذاه . ثم إن تلك الهيئة البدنية مضادة لجوهرها ، مؤذية لها . وإنما كان يلبيها عنه أيضاً البدن ، وتما انغماسه فيه . فإذا فارقت أحست بتلك المضادة العظيمة ، وتأذت أذى عظيماً . لكن هذا الأذى وهذا الألم ليس لأمر ذاتي ، بل لأمر عارض غريب ؛ والعارض الغريب لا يدوم ولا يبقى ، ويزول ويبطل مع ترك الأفعال التى كانت تثبت تلك الهيئة بتكررها . ١٠ فيلزم إذن أن تكون العقوبة التى بحسب ذلك غير خالدة ، بل تزول وتنمحي قليلاً قليلاً حتى تزكو النفس ، وتبلغ السعادة التى تخصها .

(١) لها : له ه || لها : له ه .

(٢) منغمسة : مرتسمة هاشح || للعلاقة : العلاقة ح .

(٣) عليها : عليه س .

(٤) وفيها : ففيه ح ؛ وفيه ه || كانت قريبة : كان قريب ح ، س ، ه || حالها وهى : حاله

وهو ح ، س .

(٥) لا يغفلها : تزول غفلته س ؛ لا يغفلها ه || كمالها : كماله ح ، س ، ه || منه : ساقطة من س

|| معها يصددها : معه يصدده ح ، س ، ه .

(٦) سعادتها : سعادته ح ، س ، ه .

(٧) إن : ساقطة من ه || مضاده : مضاد ح || جوهرها : جوهره س ، ه || لها : له س ، ه

|| يلبيها : يلبيه س ، ه .

(٨) فارقت : فارقت النفس البدن س || العظيمة : ساقطة من س .

(٩) العقوبة : العقوبات س || غير : الغير س || وتنمحي : وتنمحي ه || قليلاً : ساقطة من س .

وأما النفوس البله التي لم تكتسب الشوق ، فإنها إذا فارقت البدن وكانت غير مكتسبة للهيئات البدنية الردية ، صارت إلى سعة من رحمة الله تعالى ونوع من الراحة ، وإن كانت مكتسبة للهيئة البدنية الردية ، وليس عندها هيئة غير ذلك ، ولا معنى يضاها وينافيه ، فتكون لا محالة ممنوعة بشوقها إلى مقتضاها ، فتعذب عذاباً شديداً بفقد البدن ومقتضيات البدن ، من غير أن يحصل المشتاق إليه ، لأن آلة الذكر قد بطلت ، وخلقُ التعلق بالبدن قد بقي .

ويُشبه أيضاً أن يكون ما قاله بعض العلماء حقاً ، وهو أن هذه النفوس إن كانت زكيةً وفارقت البدن ، وقد رسخ فيها نحو من الاعتقادات في العاقبة التي تكون لأمثالهم ، على مثل ما يمكن أن يخاطب به العامة ويصور في أنفسهم ذلك ، فإنهم إذا فارقوا البدن ولم يكن لهم معنى جاذب إلى الجهة التي هي فوقهم ، لا كمال فيسعدوا تلك السعادة ، ولا شوق كمال فيشتقوا تلك الشقاوة ، بل كل هيئاتهم النفسانية متوجهة نحو الأسفل ، منجذبة إلى الأجسام ؛ ولا منع في المواد الساوية عن أن تكون موضوعاً لفعل نفسٍ فيها ،

(١) البدن : الأبدان ه .

(٢ ، ٣) صارت ... الردية : ساقطة من س (٣) للهيئة : للهيئات ه || وليس : فليس ح || معنى : + ما ح .

(٤) ممنوعة بشوقها : شوقها س ، ح || بفقد : بفقدان س ، ه .

(٥) الذكر : ذلك س ، ه .

(٧) أيضاً : ساقطة من س || النفوس : الأنفس ح ، س ، ه

(٨) الاعتقادات : الاعتقاد ح .

(٩) فإنهم إذا : فإذا س ، ح .

(١١) كل : كانت ح ، ه .

(١٢) ولا : فلا س || منع : ممتنع س ، ه .

لأنها تتخيل جميع ما كانت اعتقدته من الأحوال الأخروية ، وتكون الآلة التي يمكنها بها التخيل شيئاً من الأجرام السماوية ، فتشاهد جميع ما قيل لها في الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الأخروية . وتكون الأنفس الردية أيضاً تشاهد العقاب المصور لهم في الدنيا؛ وأن الصور الخيالية ليست تضعف عن الحسية ، بل تزداد عليها تأثيراً أو صفاء ، كما يوجد في المنام ، وذلك أشد استقراراً من الموجودة في المنام بحسب قلة العوائق ، وتجرد النفس ، ووصفاء القابل .

وليست الصور التي ترى في المنام ، والتي تحس في اليقظة إلا المرتسمة في البنطاسيا والمظنون ، إلا أن أحدهما يبتدىء من باطن وينحدر إليه ، والثاني يبتدىء من خارج ويرتفع إليه ، فإذا ارتسم في البنطاسيا تمّ هناك الإدراك المشاهد . وإنما يلذ ويؤلم بالحقيقة هذا المرسم في النفس ، لا الموجود في خارج . فإذا ارتسم في النفس فعل فعله ، وإن لم يكن سبب من خارج ، فإن السبب الذاتي هو هذا المرسم ، والخارج سبب بالعرض .

فهذه هي السعادة والشقاوة الحسيستان واللذان بالقياس إلى الأنفس الحسية .

وأما الأنفس القدسية فإنها تتبرأ عن مثل هذه الأحوال ، وتتصل بكاملها بالذات

- (٢٠١) يمكنها بها التخيل شيئاً : يمكن بها تخيل شيء . س .
(٣) الأنفس : للأنفس س ، هـ || أيضاً : ساقطة من س ، س || تشاهد : ساقطة من س ، ج ، هـ .
(٤) أو صفاء : أو ضعفاً س ؛ وصفاء هـ
(٥) المنام : النوم س || وذلك : فربما كان المحلوم به أعظم شأنًا في بابيه من المحسوس على أن الأخرى له
(٧) والتي تحس : وتحس هـ || البنطاسيا : بنطاسيا ج ، س ؛ النفس هـ .
(٨) والمظنون : ساقطة من هـ .
(١٢) الحسيستان : الحسيات ج || الحسية : نحسية ج .
(١٣) الأنفس : ساقطة من هـ || القدسية : القدسية ج ، س ، هـ ، هـ || بكاملها : بكاملاتها ج . د .

وتنغمس في اللذة العقلية الحقيقية ، وتتبرأ عن النظر إلى ما خلقها ، وإلى الملكة التي كانت لها كل التبرى . ولو كان بقي فيها أثر من ذلك اعتقادي أو خلقي ، تأذت به ، وتخلفت لأجله عن درجة عاين إلى أن تنفسخ . والله أعلم .

-
- (١) العقلية : ساقطة من س ، س ، هـ || الملكة : + وإلى الملكة ؛ الملكة هـ .
(٢) لها : بها ح || أثر : أمر س || وتخلفت : وخلعت س ؛ وتخلت ع .
(٣) عاين : العاين س || والله أعلم : ساقطة من س ، ع ، هـ .

الفصل السادس عشر

في محل هذه الرسالة

إني تركت في هذه المقالة الكلام في الأمور الظاهرة من علم النفس ، إلا ما لم يكن منه بدٌ ، وكشفت الغطاء ، ورفعت الحجاب ، ودلت على الأسرار المخزونة في بطون الكتب ، المضمون بالتصريح بها، تقريباً إلى إخواني ، وثقةً بأن الزمان قد خلا من الوارثين ه لهذه الأسرار تلقيناً ، وعن المقتدرين على الإحاطة بها استنباطاً ، ويأساً عن أن يكون للراغب في تخليد العلم وإيراثه من بعده وجهٌ وحيلةٌ إلا تدوينه وإيداعه الكتب تسطيراً ، دون الاعتماد على رغبة متعلم في تحققة على وجهه ، وحفظه وإيراثه من بعده ، ودون الاعتماد على هم أهل العصر ومن يكون بعدهم مثلهم في التفتيش عن مواضع الرمز وتأويله إن رُمز به ، وبسط القول الوجيز منه إن اقتصر عليه . ثم حرمت على جميع من يقرؤه من الإخوان ١٠

(٢) في محل هذه الرسالة : ساقط من س .

(٣) في الأمور الظاهرة : الظاهر س .

(٤) ودلت : ودللتا || بطون : زوايا ه .

(٥) تقريباً : قريباً ح ؛ ساقطة من س || وثقة : ويقيناً ح ، ه || من : عن ح .

(٦) تلقيناً : تلقياً ح || وعن : وعلى س || ويأساً : قياسياً لا ح .

(٧) للراغب : الراغب ح || بعده : + ولا يكون له ح || وجه وحيلة : وجه حيلة ه || الكتب :

الكتاب س ، ح ، ه || تسطيراً : مسطراً ح ، س .

(٨) الاعتماد : الاعتقاد س .

(٩) مواضع : غوامض واضع ه (٩ ، ١٠) رمز به : رمزته ح (١٠) إن : إذا ح || عليه :

عنه ح ، س .

أن يبذله لنفسٍ شريرة أو معاندة ، أو يطلعها عليه ، أو يضعه في غير موضعه . وجعأتُ الله تعالى خصمه عنى - وهو المسئول التوفيق أن يتم به الحق - أن يهدى إليه ، وله الحمد على كل حال ، وصلواته على المصطفين من عباده ، وخصوصاً على صاحب شريعتنا محمد وآله المقنتين به . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تمت الرسالة بحمد الله وتوفيقه .

(١) في : ساقطة من ع .

(٣) وصلواته : صلاة الله هـ (٣ ، ٥) وخصوصاً . . . وتوفيقه : تم الكتاب وحسبنا الله ونعم الوكيل هـ .

(٤) المقنتين به وهو حسبنا : الطيبين الطاهرين وحسبنا ع .

(٥) تمت . . . وتوفيقه : ساقطة من ع .

(٥) تمت . . . وتوفيقه : تمت كتاب النفس الكبير لابن سينا في وقت ضجوة الكبرى في سابع عشر من شهر ربيع الأول يوم الخميس لسنة خمس وعشرين ومائة على يد الفقير النجيف المعترف بالعجز والتقصير المحتاج إلى رحمة ربه الودود أحقر الورى أضعف الطالبين عبد الله مصطفي ، الحنفي مذهباً ، الماتريدي اعتقاداً ، الفاهري منزلاً . وقد فرغت في ديار الروم المعروفة الآت في القسطنطينية المحمية صانها الله من البلية ، بدار السلطنة العثمانية من وقف فقير السلطنة العثمانية فيض الله افندي المقتول (؟) اللهم يا ذا الجلال والإكرام وبجرمة حبيك المصطفي اغفر له وتجاوز عن سيئاته واجعل له في وسط غرف الجنان آمين يا مجيب السائلين وصلى الله على سيدنا وهادينا وتهدينا إلى سبيل الرشاد وشفيعنا في يوم القيامة محمد الذي في فرقان مجيده بقوله : « ولأنك لعل خلق عظيم » وعلى آله الكرام وأصحابه الأخيار لما قيل في حقهم أصحاب كالنجوم ، بآيتهم اقتديتم اهتديتم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والمائة المجتهدين والعلماء العاملين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين . الله واحد لا شريك له في الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً س .